جـامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

العلاقات الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18-19م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519/1830م

اعداد الطالبتين:

* عبدلي فاطمة

* بدراني خيرة

اشراف الاستاذة:

* خالفي جميلة

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر

الحمد لله حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله و عظيم سلطانه نتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان و التقدير للأستاذة خالفي جميلة" على دعمها و نصائحها القيمة وتوجيهاتها الحكيمة التي أنارت دروب هذا البحث.

إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد...

الإهداء

مادامت قافلة العلم تسير فنحن نسير معها بإذن الرحمان لكن هذه المرة فرضت عليا المسيرة العلمية التوقف، فأحببت أن أوقع بعرض أسماء التي شهدت مسيرتي تعبيرا عن مدى حبي لهم.

إلى ملاكي في الحياة من أرضعتني الحب و الحنان الأم رزقها الله الفرح وهي الأغلى.

و نتبعها بالذكر

إلى حياتي أخوتي وأخواتي

كما لا أنسى صديقتي ورفيقة دربي

إلى من ساندني من قريب أو بعيد .

فاطمة

الإهداء

بعد الشكر و الثناء لله الواحد الأحد عز و جل على ما منحنا القوة و القدر لإتمام هذا العمل راجيا منه التوفيق و السداد .

إلى من سقتني بعطفها و حنانها ، إلى ينبوع الحنان إلى حبيبتي الغالية أمي

إلى من أشربني حب العلم، إلى سندي في هذه الحياة إليك أبي الغالي رحمة الله عليه

إلى إخوتي الأعزاء

كما لا أنسى صديقاتي ورفيقاتي

إلى من أظهر لي أجمل ما في الوجود إلى رفيق الدرب زوجي الحبيب "توفيق"

إلى كل أفراد عائلتي وعائلة زوجي

إلى من ساندني من قريب أو بعيد شكرا لكم.

خيرة

قائمة المختصرات

المختصرات:

تر: ترجمة.

ج: الجزء.

س: السنة.

ص: الصفحة.

ص ص: عدد الصفحات.

ط: الطبعة.

ط.خ: طبعة خاصة.

د.ن: دون طبعة.

ع: العدد.

م: ميلادي.

هـ: الهجري.

مقدمة

ربطت إيالة الجزائر علاقات مع كثير من الدول منها دول الجوار كالمغرب الاقصى وايالة تونس وغيرها كان في غالبها بدافع المصالح المشتركة مثلما كان الأمر متعلق بالعلاقات التي نشأت بين مدينتي قسنطينة وتونس، التي مرت بمراحل وتطورات مست جوانب متعددة ومتنوعة خاصة خلال القرنين 18 و 19م. حيث برزت تلك العلاقات في شتى الميادين سياسيا واجتماعيا وثقافيا، خاصة في أواخر العهد العثماني.

وهذا ما دفعنا إلى اختيار موضوع "**العلاقات الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18-19م**" ، قصد الوقوف على واقع العلاقات الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس مع تحديد طبيعة العلاقة والعوامل المتحكمة فيها وانعكاساتها على الأوضاع الداخلية.

لقد سعينا من خلال تناولنا لهذا الموضوع الإجابة على الإشكالية الأتية :

- كيف كانت العلاقات الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18-19م ؟

وتتدرج تحت هذه الاشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

_ كيف كان الواقع الفلاحي والحرفي والتجاري بين مدينتي قسنطينة وتونس ؟

- ما هي مميزاته و خصائصه ؟
- فيما تمثلت المبادلات التجارية بين الطرفين ؟
- وهل كانت هناك أسواق موسمية يلتقي فيها التجار لعرض منتجاتهم؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية والتساؤلات المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي والوصفي

من خلال سرد بعض الروابط السياسية والعسكرية وأحداثهما التاريخية ، ووصف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الثقافية، بالاعتماد على المصادر والمراجع التي تمكنا من جمعها في الموضوع .

ولمعالجة الاشكالية والاسئلة المطروحة قسمنا بحثنا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وملاحق ذات صلة بالموضوع.

تناولنا في الفصل الأول: "مميزات العلاقات الدبلوماسية الثقافية بين مدينتي تونس وقسنطينة في القرن 18 –19م" وقد تضمن عنصرين :أولهما الواقع السياسي والعسكري ، في حين تضمن العنصر الثاني : الواقع الاجتماعي والثقافي.

وأبرزنا في الفصل الثاني : الخصائص الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس القرن 18–19م تضمنا أربعة عناصر : أولها مميزات الفلاحة ، ثانيهما مميزات الحرف ثالثهما مميزات وخصائص الرعي ، رابعها مميزات وخصائص التجارة .

ثم تطرقنا إلى الصادرات و الواردات بين مدينتي قسنطينة وتونس .

وأنهينا البحث بخاتمة تناولنا أهم النتائج التي توصلنا إليها.

اما فيما يخص المادة العلمية المعتمد عليها فتمثلت في مجموعة من المصادر والمراجع كان في مقدمتها :كتاب **إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس، وعهد الأمان** لابن الضياف الذي كان اعتمادنا عليه من خلال استنباط العلاقات الرابطة بين مدينتي قسنطينة وتونس على مختلف الأصعدة ، كما حاولنا استعمال العديد من المصادر لتأكيد المعلومة أو نقدها، **أما المصادر الأجنبية** التي تم اعتمادها فنذكر منها: Histoire de Constantine ل أرنست مارسي Ernest mercier الذي يتضمن تاريخ قسنطينة على شكل حوليات وكانت استفادتنا منه في وصفه المفصل للخلافات والحروب بين الجيشين وكذا في تعريفه ووصفه لبعض الأماكن المتواجدة في الشرق الجزائري .

بالنسبة للمراجع باللغة العربية فهي كثيرة جزء يخص تاريخ قسنطينة وآخر تاريخ تونس ولقد استفدنا واعتمدنا عليها بدرجة كبيرة منها :

كتاب العربي الزبيري ، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري** ، وكانت استفادتنا منه في تناوله للعلاقات التجارية بين الايالتين، بالإضافة إلى مؤلفات العديد من المؤرخين الجزائريين مثل : **ناصر الدين سعيدوني** ، النظام المالي لإيالة الجزائر ، وأهم العملات النقدية التونسية المتداولة، وكذلك **كتاب أبو القاسم سعد الله** ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الأول 1500-1830م.

كما اعتمدنا على عديد الرسائل الجامعية التي أفادنا علميا ومنهجيا ،كما ساعدتنا في التعرف على العديد من الجوانب المتعلقة بموضوعنا من أهمها : **رسالة جميلة معاشي:** "الانكشارية والمجتمع ببيايلك الشرق في نهاية العهد العثماني" .

ولا يفوتنا هنا أن نعتذر عن أي نقص أو خطأ اعترى موضوعنا ، رغم محاولتنا في بذل الجهد للاجتهاد والإلمام بكافة عناصره ، فإن أصبنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن نفسنا والشيطان.

الفصل الاول

مميزات العلاقات الدبلوماسية الثقافية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18-

مميزات العلاقـــات الدبلوماســـية الثقافية بين مدينتي قسنطيـــنة وتونـــس في القرن 18-19

1-الواقع السياسي و العسكري.

2-الواقع الاجتماعي والثقافي.

الواقع السياسي في قسنطينة :

عند التعرض للحالة السياسية لبايلك الشرق في نهاية الحكم العثماني ، يمكن التمييز بين فترتين ، فترة عرفت استقرار وتمثلت في ولاية صالح باي 1185هـ-1206هـ 1771م-1792م ويعود ذلك إلى طول فترة حكمه ، حيث قدرت بحوالي 20 سنة .

والتي أعقبت بفترة آخرة ، عرفت الضعف والتقهقر بعد مقتله سنة 1185هـ-1792 وتميزت بتعاقب العديد من البايات ، وقصر مدة ولايتهم ، والبعض منهم حكم بضعة أيام فقط مثل إبراهيم بوصبع الذي كانت ولايته ثلاثة أيام [1] ، وهي بداية لمرحلة الفوضى كما عبر عنها العنتري بقوله : " بعد صالح باي تبدلت أحكام الترك ، وانقلبت حقائقهم ، صار صغيرهم لا يوفر كبيرهم ، وبدأ الضعف ملكهم [2]".

تميزت هذه الفترة ، خاصة منذ 1217هـ/1802م ، بظهور اضطرابات عديدة في الحكم وبدأت الانقلابات ، وكثرت ثورات القبائل ، كثورة الحنانشة ، وغيرها وظهور الخيانات كخيانة ابن الباي انجليز 1222هـ/1806م[3].

وأسباب هذه الاضطرابات والثورات السياسية هي أسباب اقتصادية واجتماعية ودينية ، وحتى فترة صالح باي المتسمة بالهدوء ، شهدت هي كذلك ثورات ، حيث عرفت ثورة

---

[1] ابن العنتري محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ، تحقيق يحي بوعزيز الجزائر ، بوزريعة ، دار الهومة للنشر والتوزيع 2005-ص83-84.

[2]-نفسه ، ص86.

[3] Achour Belkacem Arahmouni Al Hadad 1802 in R.A.V6 A1919 P.26.

المرابطين ومنها ثورة الزواوي ، وثورة محمد الغراب ، فقد كان الزواوي مرابطا في نواحي قسنطينة ، ووقف مع صالح باي في حملته للدفاع ضد الهجوم الإسباني على الجزائر سنة 1183هـ/1175م ، ولكنه انضم الأعداء الباي فيما بعد ، وتوفي في جبل شطابة [1] ، وقد كان له تأثير كبير على الجهات الغربية لقسنطينة [2] أما محمد الغراب فجند أتباعه ووقفوا ضد صالح باي ، وتذهب الأساطير إلى أن جثة محمد الغراب تحولت إلى غراب ، نخاف الباي على نفسه ، وبنى للمرابط ضريحا بقبة بيضاء [3] ، ويبدو من خلال هذه الرواية أن الأساطير والخرافات كانت تسيطر على الدهنيات أنداك .

وهناك ثورة أخرى اكتسبت أهمية بالغة ، وأطاحت بسمعة الأتراك، هي ثورة لدرقاوة 1219هـ/1804م ، التي أقام خلالها ابن الأحرش بدور كبير إلى جانبا أحد المرابطين بضواحي ميلة وهو عبد الله الزبوشي مقدم الطريقة الرحمانية [4] ، حيث تميزت بالقوة وكادت قلب الأوضاع[5] في بايلك الشرق، كما يجب ذكر ثورات القبائل، والأعراش التي كانت مظهرت آخر للاضطرابات، وكانت منطقة الأوراس منطقة لثورات القبائل ضد السلطة العثمانية 1233هـ-1237هـ أواخر 1818م-1923م بسبب الحملات الانتقامية المفاجئة ضدهم[6] .

---

[1] هو جبل ذو تكوين كلسي تكثر فيه الغابات ، يقع شمال قسنطينة أنظر محمد الهادي العروق ، مدينة الجزائر ، دراسة في جغرافي العمران الجزائر بن عكنون ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984 ، ص31.

[2] Emest mercier, Histoire de Constantine, Constantine imprimeurs 51 1903 ;p283.

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ، ص219-220.

[4] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص220-223.

[5] محمد الأمين بالغيث الشيخ بن عمر العدواني ، مؤرخ سوف والطريقة الشابية ، ط2 الجزائر ، دار الكتاب الغد للنشر والتوزيع ، 2007.وللمزيد عن هذه الثورات أنظر ، تحفة الزائر 76/1.

[6] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، العهد العثماني ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1985 ، ص275.

وقد شهد جنوب البايلك هو الآخر ثورات بسبب البحث عن الزعامة والرئاسة ، وتارة التمرد على السلطة والامتناع عن دفع الضرائب [1].

ومن جهة آخري فقد اتسمت العلاقة بين بايلك الشرق وتونس بالحذر الشديد والحرب ، واستغل البايات التونسيين ، وعلى رأسهم حمودة باشا 18-1714 اضطراب الأوضاع الأوضاع في الجزائر والثورات منذ 1218هـ-1219هـ/1803م-1804م ، للتخلص من قيمة الجزائر ، ومن فرص الضرائب عليها [2] ، ومن أبرز هذه الحروب حرب سنة 1223هـ-1807م وخيانة ابن صالح باي وقد ظهرت كتابات شعبية تتعرض لحملة تونس على قسنطينة ، ومنها مخطوط عائلي يرجع إلى تاريخ 1223هـ-1807م لإحدى العلاقات القسنطينة تعرف بالقح .

وتعتبر الحملة التونسية من أهم الأحداث نظرا لتهديد البايلك ونتج عنها القطاع الطرق الاقتصادية والتجارية [3] ، هذه الأحداث كلها أثرت سلبا على جميع النواحي ، مما أدى إلى ضعف البايلك وعجز البايات عن تسيير شؤونهم وهذا لا يعكس الوضع فقط في بايلك الشرق وإنما كان شاملا عبر أنحاء البلاد أنداك .

الواقع السياسي في تونس :

تميزت الأوضاع السياسية في البلاد خلال هذه الفترة باستعانة البايات في إدارة حكمهم بأعيان البلاد من الوزراء ، فنجد أن حمود باشا [4] 1782-1814 قد استعان في

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، بيروت ، دار الثقافة 1980 ، ص 235.

[2] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس في عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد الشاوش ومحمد محايليه ، ط3 ، دار سواس للنشر والتوزيع ، تونس ، 1993 م ، ص 08.

[3] Isabelle Grangaud la ville imprenable histoire sociale de Constantine au 18 eme siècles école des hautes études en sciences, thèse de doctorat, paris, 1998, p .380

[4] من مواليد 08 سبتمبر 1759 من أم جارية وتزاوجها أبوه في الجزائر ثم دخل وأولاده تونس ، وهناك تربى حمودة باشا ، وقد تويج للحكم أثناء حياة أبيه سنة1777 ، وبعد وفاة أبيه سنة 1982 ، للمزيد أنظر أبي الضياف ، المصدر السابق ، مجلد 2 ، ج3 ، الدار العربية للكتاب تونس ، 1999 ، ص11.

في حكمه بالوزير يوسف صاحب الطابع [1] ، كما استعان أيضا بقائد الجيش سليمان كاهية [2] ، ونجد أيضا أحمد باي [3] الذي استعان في حكمه بالوزير مصطفى صاحب الطابع [4].

لقد عانت البلاد التونسية في هذه الفترة من عدة اعتداءات منها اعتداء البندقية على بعض التجار التونسي ،وكذلك استيلاء محمد القرملي على جزيرة جربة تونسية 1795م ، ولأجل ذلك أرسل الباي جيشنا قوامه أربعين ألف مقاتل الاسترجاع الجزيرة [5].

كانت الأوضاع بين الباي ووزرائه في توتر حين لأخر لكثرة الدسائس وهذا ما أدى إلى قتل الوزير يرسف صاحب الطابع 1815 م، كما كان هناك حدث هام أثر على تونس وهو دخول فرنسا إلى الأراضي الجزائرية سنة 1830 م، هذه الحادثة دعلت الدولة العثمانية تبحث عن سبل لاسترداد ولاية الجزائر بالمفاوضات السياسية لكنها عجزت ، ولأجل ذلك أرادت أن تتخلص من الأسرة الحسيني في تونس لتكون على مقربة من الجزائر لتتابع أوضاعها إلا أن فرنسا عارضت ذلك وبشدة لتدخل في مجابهة مع الدولة العثمانية على تونس [6].

---

[1] ولد بملدفيا سنة 1763 ، وهو مملوك ثم تم بيعه في سن 15 ، وقدم كهدية إلى حمودة باي ، للمزيد أنظر" الصادق الزمولي ،أعلام تونسيون ، تع ، حمادي الساحلي ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، صص34-36.

[2] هو مملوك من خواص الباشا علي باي ، للمزيد أنظرM ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج7 ، ص39.3

[3] ولد ب 1802 ، يتقن اللغة التركية والإيطالية ، تويج للحكم بعد وفاة أبيه في 10 أكتوبر 1837 ، للمزيد أنظر أبن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج3 ، ص11.

[4] ابن ابي الضياف ، المصدر نفسه ، ص32.

[5] نفسه ،ص ص32-36.

[6] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي في العهد العثماني ، ج3 ، ط2 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 2000 ، ص 516-517.

ويظهر ذلك من خلال الدولة العثمانية سنة 1820م عندما أخذ التجار الجزائريون مراكب التجار التونسيين لتتدخل الدولة العثمانية ب بإرسالها رسولا لعقد الصلح في 20 مارس 1821م مع يد جميع ما أخذه التجار الجزائر إلى تونس [1].

الواقع العسكري في قسنطينة :

لقد كان للبايلك قوة عسكرية هامة تتكون من :

-الميليشيا : وهم جنود (يولداش) يجندون من الأتراك ، وبعض الكراغلة ، ومن مهامهم حماية المدنية [2] .

-قوات قبائل المخزن : وهي القوات المساعدة للميليشيا ، وتعد قوات غير نظامية شملت كل القوات المحلية ، وقد استعان النظام العثماني بالقبائل المسيطرة ، مثل الدواودة الحنانشة وأولاد مقران وقبائل الزمول [3] ، التي كانت تكون الفرسان لعسكر البايلك [4] كما اعتمد على غيرها .

-فرقة الزواوة : هي فرق متطوعة محلية تتكون من المجندين من قبيلة زواوة[5].

وقد كانت المحلة أو المعسكرات المتحركة هي الوسيلة لحفظ النظام، وجباية الضرائب [6] وتقوم بمهمتها مرتين في السنة في فصل الربيع، وفي فصل الخريف [7].

---

[1] ابن ابي الضياف ، المصدر السابق ، ج3 ، ص134.

[2] Epoussettes histoire des derniers beys de Constantine, in R.A -2 V3 .a1862 ;p121.

[3] جميلة معاشي ، الانكشارية والمجتمع ببايلك الشرق في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، قسنطينة 2007-2008 م، ص ص82-85.

[4] Isabelle Grangeaud ,op.cit ,p314

[5] Evayssettes ,opcit ,v3 ,p121

[6] أندري ريمون ، المدن العربية في العصر العثماني ، ترجمة لطيف فرج ، القاهرة ، دار الفكر والنشر والتوزيع ، 1991، ص27.

[7] Evayssettes ,opcit ,v3 ,p121

تألفت قوات البايلك في آخر العهد العثماني من حوالي 22 ألف جندي 23 ألف فارس ، والمجموع 45 ألف رجل [1].

وقد ذكر أحد الفرنسين في بداية الاحتلال أن الحاج أحمد باي 13 أكتوبر 1837 كان له ثلاثون فردا من حاملي البنادق ، وحوالي خمسمائة رجل من المزارقبة ،أي الرماحين بالإضافة إلى الشواش ، وحرس المدينة وغيرهم ، وكان الخليفة الباي ماشتي فارس في ضواحي قسنطينة ، وبذكر أحمد باي [2] عند الغزو الفرنسي ،أنه ترك حامية من ألف رجل تحت قيادة ابن عيسى [3] وكانت المدينة مجهزة بالأسلحة والعتاد الحربي ، وكان على القصبة ثلاثون مدفعا ، وعدد آخر من المدافع ، واستدعيت الجيوش من مختلف الأماكن ، ويضيف أنه أقام معسكر من 1500 من المنشاة و 500 من الفرسان .

والملاحظ أن النظام التركي قد أسس نظاما عسكريا للجندية فيه المقام الأول [4] .

قام قادته بدور هام ، نذكر منهم يحي أغا 1234هـ-1244هـ/1818م-1828م ، الذي ظهر في عهد الداي حسين وقام بدور هام .

وقد أشار إليه صاحب المخطوط إنما أشار إلى تحالف العساكر مع أحمد شاوش القبائلي عندما قام بالتمرد على الباي على شاوش سنة 1223هـ/1808م ، وتعرض لتدهور هذا الجهاز العسكري ، الذي أصبح يلهب أموال الناس ومصدرا للفساد ، وإثارة الفتن والمشاكل،

---

[1] ابن العنتري محمد الصالح ، المرجع السابق ، ص36.

[2] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، تحقيق محمد العربي الزبيري ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981 ، الجزائر ، ص46-47.

[3] هو أبو القاسم بن محمد بن عيسى ، كان أبرز الشخصيات المقربة من الحاج أحمد باي ، واعتبر الرجل الثاني بعد أحمد باي ، والدعامة التي قام عليها الإصلاح الإداري في عهده ، وهو المتعلم للمقاومة أثناء حصاري 1836-1837 أنظر العطار ، المرجع السابق ،13.

[4] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر ، البليدة ، دار الكتاب ، 1963 ، ص36.

وربما يتعلق مع رأي حمدان بن عثمان خوجة [1] الذي اعتبر فساد نظام الجيش العثماني ، وذكر بعض ضحايا مؤامرات الجيش مثل الداي مصطفى واستيلاء أحمد بن علي خوجة على الحكم بعد تمرد عام 1221هـ-1806م .

الواقع العسكري في تونس :

عندما بلغت العلاقات بين المدينتين ذلك الحد من التوتر جمع حمودة باشا رجال دولته لتشاور فيما يجب اتخاذه حيال الجزائر فوصلوا إلى إعلان القتال [2]، فكان سفر المحلة لقسنطينة يوم السبت منتصف ذي القعدة 1221هـ/24 جانفي 1807 م[3] ، وقد ضمت أبطال جنده ، وأرسلها تحت رئاسة سليمان كاهية الأول [4] ، بالإضافة الأغا أبي العباس أحمد الجزيري ، ومكة علي بن الحاج مصطفى أنقليز ، والكاتب الفقيه أبو عبد الله محمد المسعودي ، وقد خرجت بالإضافة للإمداد بمحلة أخرى قادها أبي الربيع سليمان كاهية ، وهو يومئذ متكونة من فرسان الأغراض لصالح عاملة أبي العباس حميدة بن عباد ، وكانوا كلهم تحت قيادة سليمان كاهية الأول[5].

ويوصلوهم لقسنطينة ، رموها بالقنابل ، وطال الحصار بها لخو أربعة أشهر أشرفوا على الاستلاء عليها [6] ، حيث هرب باي قسنطينة حسن باي 1806-1807 إلى ناحية جميلة،

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تعريب وتقديم العربي الزبيري ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982 ، ص150.

[2] رشاد الإمام ، سياسية حمودة باشا في تونس 17852-1814 ، رسالة دكتوراه في الفلسفة ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ،ص245.

[3] أحمد بن أبي الضياف ،إتحاف أهل الزمان ، مج4 ، ج8 ، تح ، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، لدار العربية للكتاب ، ط2 ، تونس 2004 ، ص41.

[4] السنوسي محمد بن عثمان ت 1318هـ-1900م مسامرات الظريف ، بحسن التعريف ، ج1 ، تح ، وتع ، محمد الشاذلي النيقر ، دار بوسلامة ، تونس ، 1983 ، ص34.

[5] بن أبي الضياف ، المصدر نفسه ، مج2 ، ج3 ، ص41.

[6] خليل مروم بك ، أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسية والاجتماع، لجنة التراث العربي ، ط1 ، بيروت ، لبنان لبنان ، 1971 ، ص260

جميلة، هذا ما جعل محلة تونس نتقدم وتنزل مقابلة للبلاد [1]، فتحمل الأهالي مشاق الدفاع بكل سيالة وشجاعة إلى أن وصلتهم النجدة من مدينة الجزائر [2] وتتمثل في عمارتين من فرسان وعسكر ، حيث بعث بعمارة العسكر من ناحية البحر ، وعمارة الفرسان من ناحية ألبر وأميرها باشا أغا [3] ، وتقابل الطرفان حيث درات معركة عظمة أدت إلى عزيمة جيش تونس بعد ثلاثة أيام وكان ذلك يوم الأحد 25 صفر 1222هـ/3ماي 1807 ، ويقول ابن أبي الضياف في تلك الهزيمة وقعت بتدبير حيث أرجعها لملل القوم من طول الحصار ، خاصة فرسان دريد ، بالإضافة للمناوشة التي وقعت بين الرعاع حيث فرمنها العديد من الفرسان [4].

وهناك من يرجع الهزيمة لكون الكاهية سليمان رفع الحصار بمجرد وصول الإمداد من الجزائر حيث تمركز في بو مرزوق أين ألحقوا بهم هزيمة شنعاء [5] ، كما وفر العديد من الجند الترك من الجيش التونسي إلى الجيش الجزائري واستولى الجزائريون على المعسكر التونسي ، وكان يحتوي على عشرين مدفعا وستة مدافع هاون وعدد كبير من الجمال [6] ، وبقي العديد من أناس دريد بعائلاتهم فأنزلهم باي قسنطينة أرضا تسمى الأن بحيرة دريد وأقاموا بها .

---

[1] يحي بوعزيز ، موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر ، ع23 ، مطبعة البحث ، قسنطينة ، الجزائر ، ص74.

[2] حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص167 ،أحمد توفيق المدني ، عثمان داي الجزائر ،...، ص56.

[3] يحي بوعزيز ، نفس مرجع ، ص74.

[4] أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، مج2 ، ج3 ، ص42

[5] عزيز سامح ألتر الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر ، محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1409 هـ/1989م .،ص

[6] أبو العيد دودو ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ، ط1 ، الجزائر ، 1989 ، ص56.

وقد كان أشياء حمودة باشا من هذه الهزيمة مؤثرة جدا تجلى ذلك في كونه سجن كل أعيان المحلة القادمين ما عدا سليمان كاهية أمير المحلة ، وذلك لكونه كان قدم خدم والده [1] أما أحمد باشا 1805-1808 ، فقد أخذ من الباشا آغا وباي قسنطينة مكافأة تمثلت في عناق من الخيل وهدايا نفسية ، وهذا لدورهما وحسن ضيعهما[2]

الواقع الاجتماعي في قسنطينة :

لقد قدر أحد الفرنسين في بداية الاحتلال الفرنسي . عدد سكان بايلك قسنطينة بحوالي مليون ونصف عدد السكان الإجمالي للجزائر البالغ عددهم حوالي ثلاث ملايين نسمة تقريبا ، وهذا العدد تميز بالتنوع والتباين سواء في المدن أو الأرياف وقد تميزت مدينة قسنطينة بتنوع الفئات كيفية المدن الأخرى ومنها:

الأتراك: هي الفئة المسيطرة بالغرم من كونها أقلية وقد جاءت من تركيا.

الكراغلة: هذه الفئة يسميها الأوربيين الكولوغيين ، وهم نتاج أب تركي وأم من السكان الأصليين ويقول عنهم البعض أنهم فئة كانت ثائرة على الأتراك [3]، وتعد طبقة وسيطة بين الأهالي والأتراك ويذكر البعض أن تواجد الكراغلة هي ظاهرة في العهد العثماني ، حتى خارج العواصم الكبرى ، ولم يذكر مؤلفي المنطقة وجودها خلال هذه الفترة ، وقد استطاعت العائلات التركية والكراغلة أن تكون حولي 5025 عائلة بقسنطينة والتي كان لها ثروات وعقارات هائلة [4]وقد استطاع البعض من أفرادها الوصول إلى الحكم مثل أحمد

[1] أحمد بن أبي الضياف ، المصدر نفسه ، مج2 ، ج3 ، ص42-43

[2] يحي بوعزيز ، موقف بايات تونس ، ص 75.

[3] Renandot talleau du Rouyane de l'Algerie et jes enirons paris imprimerie p42-44

[4] Isabelle Grangaud , opcit p238.

أحمد باي آخر بايات الشرق وهو ابن لإحدى بنات أسرة محلية صحراوية ، وهي أسرة بن قانة [1]

الحضر أو البادية : وهو بعض سكان قسنطينة من مهاجري الأندلس وأطراف بلاد المغرب ، حيث تميزت قسنطينة بظهور هذه الطبقة التي كان لها تأثير على الأوضاع ، ومنحت لها امتيازات ووظائف ومن بين هذه الأسر ، أسرة ابن باديس وأسرة ابن الفكون ، وابن جلول، وابن عبد الجليل [2] وغيرها من الأسر والعائلات التي لعبت دورا هاما

اليهود : فئات أجنبية [3] ، وقد عرفوا بالخبث في معاملاتهم والتحايل ، وبالرغم من ذلك سمح لهم بالعيش ، وبممارسة النشاط التجاري كما أن صالح باي تشيد لهم شارع عرف بحارة اليهود [4]

أما في الأرياف قد تميز المجتمع بالطابع القبلي ، كيفية المجتمعات الريفية المتواجدة في الجزائر آنذاك وقامت القبيلة بدور هام في هذا المجتمع الذي تميز بالصراع وكثرة الهجرات نحو الشمال بحثا عن الأكل والعيش ، كما تميزت حياة البدو بالترحال بين الشمال والجنوب[5]، وكانت هناك مجموعات قبلية مستقلة متواجدة في الجبال والتي أصبحت ملاذ للناقمين على السلطة .

كما تميزت هذه الفترة بظهور علاقات المصاهرة بين البايات والأسر الكبرى الريفية وسعى بعض البايات إلى رفع مقام بعض الأسر على حساب الأخرى ، فأسرة بن قالة

---

1 بوضر ساية ، بوعزة، الحاج أحمد باي ، مجلة الثقافة ، العدد 122، 1996 ، ص145.

[2] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ..، ص 328.

[3] –نفسه ص328.

[4] فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة في عهد صالح باي قسنطينة ميديا بوليس ، 2005 ، ص77.

[5]مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، ص255–256.

ظهرت كأسرة جديدة منذ عهد الباي أحمد القلي 1170هـ-1185هـ/1756م-1771م بعدما تزوج من هذه الأسرة والحاج أحمد باي يعد أبن أخت كبار رؤساء هؤلاء العرب ابن قالة والباي إبراهيم صاهر أحد أفراد من الأسر الصحراوية ، وهو الشيخ فرحات [1]

وكان النظام العثماني قد استفاد من هذه القبائل والأسر ، التي قامت بدور هام إلى جانب العديد من البايات ، وتجلى ذلك في الدعم التي كانت تقدمه ، حيث تحالف الحاج أحمد باي مع القبائل عندما سعت فرنسا إلى احتلال قسنطينة وغير عن ذلك البعض ، فقال أن هذه القبائل أصبحت النخبة المفضلة لديه ، كما أن علاقة المصاهرة هذه كان هدفها حسب البعض الآخر [2] هو السيطرة على البايلك .

ومن خلال ما سبق يتبين الاختلاف الواضح في البنية الاجتماعية لبايلك الشرق الجزائري وهذا الاختلاف أثر في استمرار الصراع الاجتماعي ، وعلى سير الأحداث السياسية إلى نهاية الحكم العثماني إلى هذه التناقضات الاجتماعية عند تعرضه للصراع بين الأسر الكبرى .

الواقع الاجتماعي في تونس : كان المجتمع التونسي كغيره من المجتمعات عبارة عن مزيج من السكان تمثلوا في كل من البدو و أشياء البدو والبربر ، الأتراك ، الزنوج إضافة اليهود ، الأندلسيون والأوربيون .

بالنسبة إلى البدو وأشباه البدو فقد كانوا يعشون ضمن متفرقة ، غير أن هذه القبائل ضعفت كثيرا منذ هيمنة العثمانيين على تونس ليزداد ضعفهم أكثر بعد الاختراق الرأسمالي الأوربي للبلاد في القرن 19 ، ورغم خشونة طباع هذه القبائل وميلها إلى العنف

[1] حمدان خوجة ، المرآة ، المصدر السابق ص77.

[2] Isabelle Grangaud ,opcit p314

إلا أنها تعد قبائل متطورة على نظيراتها في الجزائر والمغرب الأقصى وليبيا ، حيث ورثت الكثير من مكتبات الحضارات الراقية التي تعاقب على تونس[1] .

لقد كانت هذه القبائل قائمة ليس فقط على الإيمان بعلاقات القرابة الدموية ، وإنما كذلك على الإسلام والعروبة وهو الشعور بالانتماء إلى رقعة جغرافية واحدة إلى جانب إيمانها بوجود قضاء معني هو البلاد التونسية[2] .

الأتراك : نجد هم خاصة في تونس العاصمة والمهدية وهو الضباط وكبار الأعيان ، وقد كانوا يحتقرون السكان المحليين ولا يتزوجون منهم إلا نادرا [3].

الزنوج : هذه الفئة من المجتمع نجدها خاصة في الواحات ، وينحدرون من العبيد الذين جلبوا من إفريقيا السوداء ، وهم غالبا عمال بالحصة خدم أو مزارعون صغار في أحسن الحالات وقد كان هؤلاء يباعون بأسعار متفاوتة لأنه [4] يرتبط بدرجة التعليم والتربية ، كما أن ثمن الذكر أغلى من ثمن الأنثى وثمن العبد الأسود أقل من ثمن العبد الأبيض[5]

الممالك و الأعلاج[6] : تولوا مهما سامية في الدولة سواء في الجيش أو البحرية أو الديوان.

الكراغلة : وهم نتاج المصاهرة القائمة بين رجال الأتراك والنساء التونسيات .

---

[1] الشاظر خليفة وآخرون ، وتونس عبر التاريخ ، ج3 ، مكتبة الجامعة ، تونس ، 2005م ، ص105.

[2] الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس ...، ص69.

[3] محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص69.

[4] عبد الجليل التيمومي وآخرون المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، ط1 ، بيت الحكمة ، تونس ، د ت ن ، ص400.

[5] محمد حسن جوهر ، تونس ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1921 ، ص 79-80.

[6] الأعلاج ، كانت كلمة علوج تطلق على الأوروبيين الذين اختلقوا الاسلام ينظر البدور مروش ، ص283.

الأندلسيون : توقدوا بكثرة خلال القرن السابع عشر ، وكان لمجيئهم ألأثر البالغ في تغطية التنافس السكاني الذي حل بتونس خلال القرن 16.

الأشراف : وهم الذين يثبت انتسابهم ويحضون بامتيازات رفيعة واحترام كبير .

العبيد : منهم السود القادمين من بلاد ما وراء الصحراء عن طريق التجارة ، ومنهم العبيد البيض الذين يسمون بالأعاجم ومصدرهم كان عمليات الأسر البحري ، بالإضافة إلى اليهود[1]

الاوبئة والمجاعة:

أ- **وباء الطاعون:** اجتاح هذا الوباء في بداية حكم الباي إلى غاية 1797م، حيث كاد أنّ يكون متواصلا كل سنة، يرجع سبب هذا الوباء إلى الحركة المستمرة للحجيج القادمين من ميناء الاسكندرية .

وقد كان هذا الوباء سببا في اعلان حمودة باشا الحرب على جمهورية البندقية ومن أهم النتائج التي خلفها على البلاد والعباد، ففي سنة 1783م تعرضت تونس لوباء كبير وصفه أحمد بن أبي الضياف " بالوباء الكبير" حيث قال: " وفي سنة 1198 هـ وقع بالمملكة طاعون جارف وهو المعروف عند أهل الحاضرة بالوباء الكبير، مات بسببه أعيان الحاضرة

[1] كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830 ، مذكرة لنيل الماجستير في الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، الجزائر ، 2013 -2014 ، ص25.

وأثر في عمران البلاد نقصا فادحاً" وفي اول ظهوره صدر أمر من الباي بحرق ثياب الموتى وكسوة بيوتهم وغلقها والعزباء بالمقابر وسجن مرضاهم بمخازن القلالين.[1]

وفي نتائج هذا الوباء يقول محمد مقديش: "في أول سنة 1199 هـ عدم إفريقية وطرابلس والجزائر، ففي شهر ربيع الاول في السنة المذكورة ضرب بصفاقس رجل ومات من يومه واصيب غذا آخر و آخر، ثم كثر وتضاعف حتى انتهى لنحو 250 في كل يوم ببلد.[2]

ومن بين الاجراءات الاخرى ايضا هي مراقبة وتفتيش الصحي لكل المراكب الآتية من البحر والمسافرين براً من الجزائر وطرابلس، وفي حالة اكتشاف المرض يفرض على المصابين ما يسمى بالأربعينية والمقصود به العزل لمدة أربعين يوما، للتأكيد من شفاء المصابين وبالتالي تجنب انتقال المرض، وقد جعل هذا الطاعون عدد السكان يتراجع ثم ينتقل إلى مرحلة النمو البطيء والاحصائيات تبين ذلك، بحيث كان عدد سكان تونس في بداية القرن 18 حوالي 750 الف نسمة، ووصل إلى 800 ألف نسمة فقط.[3]

ب- المجاعة: تكررت النوائب في تونس بحصول المجاعة التي خلفت مرضا افتك بكثير من الأهالي حتى صار وبائها ولم يستقم حال العباد والبلاد إلاّ بعد 10 سنوات، ولهذه الأسباب صارت مالية الدولة في خطر من الديون التي تراكمت عليها.[4]

---

[1] لوسين فالنسي، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر، تر، الياس مرخص، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص30.

[2] أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ج3ن ص14.

[3] حسام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عبد الحميد بنم نعيمة، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية ، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013م، ص 180-181.

[4] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر ويليه قانون الأسواق مدينة الجزائر، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص 198.

الواقع الثقافي في قسنطينة:

لقد أدى الاهتمام بالعلم ونشر المعرفة إلى الاهتمام بالمدارس والمساجد وقامت هذه المؤسسات بدور هام في المجالات العلمية والدينية، والاجتماعية والسياسية، و تولت عائلات عديدة مهمة بناء المدارس والمساجد والتدريس بها والنفاق على الطلبة ومن بينها عائلة ابن باديس، وابن جلول وابن الفكون، وابن البشتارزي، وكونجك علي وغيرها، وقد تمتعت هذه العائلات بمكانة اجتماعية وعلمية.[1]

و أهم هذه المؤسسات كانت المساجد وقد ذكر فايست أن قسنطينة كان بها أكثر من مائة مسجد، واحتوى كل مسجد على مقاعد مخصصة لحفظ القران الكريم، وتشيخا لنظارة الاوقاف[2]، وهذا العدد الكبير ازداد خاصة في عهد صالح باي، الذي حاول القيام بإصلاح شامل، وانشا مدارس عديدة وشجع الطلبة الذين كانوا يأتون من عدة قبائل للدراسة.

وعلى غرار المدن الأخرى ظل الانتاج العلمي والثقافي بقسنطينة ضئيلا، فقد كان محصورا في التقارير التي تكتمل وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية، وغلب عليه التقليد تارة علماء المشرق وتارة علماء المغرب الاقصى، فاصبح أسلوب التأليف يغلب عليه الاسلوب العلمي وركاكة التراكيب[3]، كما اعتمد العلماء على الاسلوب النقلي[4]، الذي يبرز في المخطوط الذي عمل على تحقيقه، ويذكر البعض أنّ الاهتمام تركز على التعليم الديني، دون الاهتمام بمجالات التعليم الاخرى، كما حظي العلماء بمكانة علمية كبيرة، واحترمتهم

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 16.

[2] Evaysettes, opcit, V.3, p 115

[3] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 62.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 86.

السلطة إلى جانب العامة[1]، وقد احتلت الطريقة مكانة هامة، وللشيخ الطريقة نفوذا واسعا في أوساط المجتمع[2]، واكثر الطرق انتشارا هي الطريقة الرحمانية التي كانت تضم عشرة آلاف مريضا.[3]

ولم تكن نزعة التصوف فقط في المدن بل ساءت الارياف والبوادي وانتشرت بين القبائل مثلما كان سائدا إبان العهود الاسلامية السابقة،[4] وقد ذكرت المصادر والمراجع العديد من علماء تلك الفترة ومنهم محمد الشاذلي القسنطيني الذي عاش في بداية القرن 19 م، ومحمد بن المسيح القسنطيني (ت 1242هـ- 1827 م)، والعلوم التي برز فيها هؤلاء هي البلاغة والنحو والفقه وغير ذلك من المجالات العلمية.

الواقع الثقافي في تونس:

عرفت الحركة الثقافية في تونس خلال العهد العثماني نهضة ثقافية شملت الدراسات الدينية في مختلف المدن التونسية، وكثر عدد العلماء بها من مالكيين وحنفيين، لكن اقتصرت العلوم الدينية على النقل و التكرار[5]، وكان نظام الكتاتيب النظام السائد في تلك الفترة[6]، حيث كان يلقي فيه الطالب القرآن الكريم والحديث والنحو والصرف والفقه واللغة، ومن أهم مراكز العلم التي لعبت دورا في تخريج العلماء نذكر جامع الزيتونة[7]، إضافة إلى

---

[1] محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق ، ص 29-30.

[2] عمراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي (الجزائر)، عين مليلة، دار الهدى للطبع، 2005، ص 29.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،المرجع ج2 , ج3 السابق ، ص 27

[4] مصطفى أبو ضياف، أحمد عمر، القبائل العربية، ص 268.

[5] عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، د:ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص 60.

[6] سمير أبو حمدان، خير الدين التونسي، د:ط، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1992، ص 16.

[7] ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس، الغرب، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص143-153.

مدارس التي لقيت انتشارا كبيرا في تونس أهمها المدرسة المرادية ومدرسة حوانيت عاشور والمدرسة الحسينية الكبرى والصغرى ومدرسة الخالة التي أنشأت في عهد الحسين بن علي. كما عرفت البلاد التونسية هي الاخرى وجود نظام القضاء الذي عرف إنشاء محاكم مختلفة منها القضاء الشرعي، وحكمة الباشا، أما اليهود والاوربيون فكانت لهم محاكمهم الخاصة.[1]

نشطت الدراسات الدينية بمختلف جهات البلاد في كل من القيروان وسوسة وصفاقس وكثر فيها عدد العلماء من مالكية وحنفية وعموما فذلك الانبعاث يعود إلى:

أ. تشجيع الدايات الاوائل و البايات المراديين طول القرن 17 للعلوم والفنون وسعيهم لتشييد حواضر تعرف بهم.

ب. عائدات النشاط البحري التي أسهمت في تشييد العديد من الجوامع والمدارس.

ج. الجاليات الاندلسية التي كانت لها بصمات هامة في الميدان العمراني وذلك بتشييدها لمدن عرفت بها كسلمان، والعالية.[2]

[1] احمد قاسم، أوضاع إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 33-34، 1984، ص 149.

[2] كوثر العايب، المرجع السابق، ص 26.

الفصل الثاني

الخصائص الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرنين 18و19 م

الفصل الثاني: الخصائص الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18 و19م.

1- مميزات الفلاحة.

2- مميزات الحرف.

3- مميزات وخصائص الرعي.

4- مميزات وخصائص التجارة.

5- الصادرات

6-الورادات

1- مميزات الفلاحة في قسنطينة:

الزراعة هي النشاط الذي يمارسه السكان، واعتبرت المورد الرئيسي لمعيشتهم، فقد اشتهرت مدينة قسنطينة منذ العصور السابقة بزراعة الحبوب، ومن أهم المنتوجات: القمح والشعير فالعبدري في رحلته وصف الأراضي الزراعية بقسنطينة مع أنها خصبة وسبب خصوبة هذه الأراضي هو مياه الأمطار نتيجة لوقوعها جانب الجبال[1]، حيث يقول أحد الفرنسيين أنّ ازدهار زراعة الحبوب بمدينة قسنطينة يرجع إلى موقعها الاستراتيجي على الهضاب الممتدة والأرياف مع وجود البساتين[2]، وقد تنوعت المحاصيل الفلاحية في القمح والشعير بالإضافة كذلك إلى المثمرة كالزيتون.

كما تميزت زراعة الحبوب بالبساطة وذلك نظرا لاستعمال الأدوات الفلاحية البسيطة كالمحراث الخشبي وعدم استعمال نظام الدورة الزراعية، ولا نظام تقليب الأراضي وتهيئتها للحرث للموسم الجاري، ونجد هنا أن العرب كانت اهتماماتهم بصفة خاصة على زراعة القمح أما القبائل فكانوا يقومون بزراعة القمح والشعير معا.[3]

فقد عرفت الزراعة تطورا ملحوظا خلال عهد صالح باي 1771-1791م وأدخل عليها تعديلات اقتصادية وجعلت من قسنطينة المدينة الثانية من حيث النشاط التجاري والصناعي والأولى من حيث الإنتاج الفلاحي[4]، استحدث صالح باي زراعات جديدة[5] مثل الأرز وشجع على زراعة الزيتون وأهم مشروع زراعي حققه صالح باي هو استغلاله للسهول الخصبة القريبة من قسنطينة التي كانت لها أراضي خصبة ناحية عين كرشة.[6]

عرف الإنتاج ازدهارا كبيرا بفضل إصلاحات صالح باي الذي أنجز مشروع لاستغلال السهول الغربية من منطقة عين مليلة، وبنى برجا عسكريا لمراقبة الأعمال الزراعية، كما استخدم مزروعات جديدة

---

[1] محمد العبدري، الرحلة العبدرية، تقديم سعد بوفلاقة، بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص 62.

[2] رياض بو لحبال، أخبار بلدة قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص29.

[3] مصطفى عبيد، جوانب من التاريخ الإجتماعي والاقتصادي لمنطقة سطيف خلال القرن 19 ملتقى سطيف تاريخ وحضارة قسم التاريخ والأثار جامعة سطيف، ص 05-06.

[4] يمنية سعودي، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير، 2005م، جامعة منتوري، قسنطينة، ص44.

[5] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح الباي، ص 133.

[6] فيلالي والعروق، المرجع السابق، ص83.

كالأرز، وقد استمرت الإصلاحات هذه الحاج أحمد باي (1826-1837) الذي أدخل عليها بعض التعديلات[1].

كان من أهم منتوجات البايلك، الحبوب خاصة القمح، الذي يعد أهم المنتوجات في الشرق الجزائري، وكان يباع الصاغ منه بحوالي عشر إلى أحدى عشر فرنك، ويرجع هذا الازدهار حسب أحد الفرنسيين إلى أن قسنطينة تعد منطقة هامة، وأنها تسيطر على الهضاب الممتدة والأرياف.

كانت الحبوب تصدر إلى أوروبا خاصة فرنسا، وكمثال على ذلك فإن معدل ما استوردته مرسيليا من موانئ الشرق الجزائري سنة 1774 ما بين 230 إلى 260 ألف قنطار من القمح، كما أن نسبة 40% من الحبوب التي تدخل مرسيليا مصدرها الشرق الجزائري.[2]

لكن الإنتاج عرف تراجعاً منذ سنة 1803 بسبب الجفاف ويذكر حمدان خوجة أنه عندما تولى الحاج علي باشا حكم الجزائر 1809-1815، كانت مقاطعة قسنطينة في بؤس شديد وكانت الزراعة شبه منعدمة، وكان ذلك عكس الوضع في الغرب، وقد استمر ذلك إلى غاية 1837م.

وتميزت المنطقة بزراعة الأشجار المثمرة، حيث كان يمارس هذا النشاط حول أحواض الأودية، بالإضافة إلى زراعة الخضر، وخاصة بمنطقة الحامة بالإضافة إلى المناطق الساحلية للبايلك وجنوبه.[3]

2- مميزات الفلاحة في تونس:

شهدت تونس في بداية القرن 18 م تولي الأسرة الحسنية الحكم، فظهر جهاز سياسي وإداري أكثر ارتباطا بالمنطقة أدى إلى استقرار سياسي، فمنح للحكام التونسيين نوع من الاهتمام بالواقع الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة وتجاوب مع متطلبات السكان، مما أنعش الواقع الاقتصادي وسمح بتشجيع بالارتباط بالأرض لتوفير محاصيل فلاحية، وساعدتها في عدة عوامل منها:

أ- الاستقرار:

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، مرجع سابق، ص281.

[2] العربي زبيري، المرجع السابق، ص 91-95.

[3] يوسفي صرهودة، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة في أواخر العهد العثماني، لنيل مذكرة ماجستر، قسنطينة، 2005، ص 60-69.

تعتبر تونس نموذج عن النهضة الاقتصادية التي عرفتها في العهد العثماني وهذا بعد تأسيس الأسرة الحسنية و إقرار النظام، مما جعل السكان في الحواضر والأرياف يحرصون على فرض الأمن وتجنب دفع تلك الغرامة المالية الكبيرة[1]، كما قام ببناء الجسور وموائل لجمع المياه[2]، فانتعشت البلاد وتزامن مع ذلك انعدام الأوبئة والمجاعات 1705-1784 م فكانت فترة ازدهار حقيقي 1765-1775م مكنت بعدها حاكم تونس كحمودة باشا الثاني 1782- 1814 م من انتهاج سياسة طموحة في الداخل والخارج بهدف تقوية إمكانيات البلاد العسكرية وتنمية مواردها الاقتصادية.[3]

اهتمام الحكام بالفلاحة:

عمل بايات تونس على تنمية الفلاحة وتشجيعها توفير المحاصيل والمداخيل[4] من خلال بعض الإجراءات فقد قام حسين بن علي بإلغاء الأعراف المكبلة للفلاحة مثل: المشتري وإجبارية التزام أرضي المخزن كان عاملا لإقبال الناس على الفلاحة وهذا ما تشهده تونس في عهد حمودة باشا.[5]

كما شجع حمودة باشا على زيادة الإنتاج الفلاحي في البلاد التونسية فقام بالبحث على العمل وقال عنه صاحب الإتحاف أن "الباي كان يباشر الفلاحة بهنشير المرتاقية"[6] بنفسه، كما شجع الفلاحين بتدعيمهم عن طريق بيع الحبوب و الأنعام.

حتى أنّ الباب بعد سنة 1807 م، أمر يمنع ذبح البقر والغنم والمعز في البلاد التونسية لمدة محددة وطلب المحافظة على المزروعات وخبرات البلاد التونسية في 1809 م.

---

[1] باسيونال اندري، الرحلة إلى تونس 1724، ترجمة وتحقيق محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004.

[2] مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته (من قبيل الفتح الغربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 19، ط1، مجلد 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ببيروت، 1992.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ، المرجع السابق، ص33.

[4] VENTURE DE PARADIS –J-M-TUNIS ET ALGER AU XVIII EME Siècle –LA BID ARABE-SIMDBAD- PARIS – 1983- P31.

[5] المرزوقي فتحي، المؤسسات الدينية والخيرية بمدينة تونس في القرن 18 عشر مقوماتها الاقتصادية ووظيفتها الاجتماعية عن تحية وتقدير الأساتذة شارل روابير، بيروت، ج2، منشورات التميمي للبحث والمعطيات والمعلومات، زغوان، 1996، ص 196.

[6] رشاد الإمام , سياسة حمودة باشا . المرجع السابق ص 262

وقد عرفت أسعار الحبوب التونسية المعدة للتحديد ارتفاع مستمر منذ 1785 م إلى غاية حدود 1802 م وذلك بعد توقف الحرب مع البندقية في 1787 م كما منع الباي ابتياع التجار الأجانب للحبوب من الفلاحين وهذا قصد دخل الفلاح التونسي.[1]

ب/ الضرائب الفلاحية:

و هي المصادر التي غدت القرينة التونسية، وقد تنوعت واختلفت من شرعية ووضيعة وظهرت تلك الضرائب في الشكل التالي:

فقد كان يخرج الباي مرتين في السنة نحو الأرياف لاستخلاص الضرائب مع كتيبة من الانكشاريين أو الصبايحية وفي سنة 1711-1712 م، وصلت الضرائب الصيفية أو العشور في باجة إلى 1340 ففي زمن للقمح 700 هكتولتر ومشتتات الباي إلى 128 قفيز 640 هكتولتر اي بمجموع 4000 ففيز من القمح 200000 هكتولتر 13600 قفيز من الشعير 68000 هكتولتر.[2]

كانت تصل تلك الضرائب إلى حدود 10 أو 20 مليون ريال.

العشور: كانت تسلم إلى وكيل معتمد من طرف الدولة وكانت العشور التي تأخذ من الفلاحة (الحبوب) تحسب عن طريق مساحة الأرض المعروفة باسم "القياسية" وعليها يؤخذ العشر، وكالشخص الذي يجمدها يعرف باسم اللازم ويستخلصها حسب الأراضي المحروقة اعتمادا على ما سجله خلال كل عام.[3]

الحد من الفوضى التي كانت سائدة في مجال الضرائب المفروضة في الزراعة:

عندما تولى حمودة باشا الحكم إلا من رجال دولته أن يضعوا له سياسة جبائيه جديدة: " قد طلبت منكم تدبير في شأن الجباية يناسب الوقت والحال وأنتظره منكم"، وكان القايد يستخلص من

[1] رشاد الامام، المرجع السابق، ص 262-263.

[2] Cherif.mh- pourvoir et société de la Tunisie de n'Seyne ben Ali 1705-1740 t1- publication de l'université de Tunis 1986.p57

[3] باسيونال أندري، الرحلة إلى تونس، المرجع السابق ، ص 138.

الأهالي ضريبة العشر التي تخرج على المحاصيل الزراعية والتي نعرف بالخلاص وكذا الضرائب على المواشي، الجلود، السمن، الزيوت....[1]

لكن خلال هذه العملية يتعرض المزارعون للنهب من طرف مستخلصي الضرائب ، بطرق مختلفة كالتي تعرف "بالضفة" أو " بالوهبة" ويقال خرج " القائد بشوهي" أذا يتحصل على مقدور لا بأس به من الأموال او المحاصيل أو الماشية، ويقوم بتوزيعها على المشايخ، لكن الحكام كما قال عنهم لبن أبي الضياف كانوا يغضون النظر عن ذلك لاسيما ادا لم ترفع لهم الشكاوي، وتمكن رجاله وفي مقدمتهم الشيخ حمودة ابن عبد العزيز أن يقترح نظام جبائي جديد والمتمثل في المشاركة المالية فالرأي أن تعتبر دخل سالك، توليدهم على مشاركة مالية وورائهم نظرك.

يعني هذا أن أصبح ولابد على العمال من دفع مبلغ المالي ليوسف صاحي الطابع اطلق عليه تسمية الاتفاق لأنه كان يتم سرا بين الذي يوجد العمل في جباية الفرنسية، العمال وبين الوزير وفي مقابل يتحصل الوزير على خدمة تسمى "اللفظية" وهو مبلغ من المال في مقابل الوحدة الوظيفية.[2]

رابعا: المحاصيل الفلاحية:

تغنى عدد كبير من الكتّاب بتونس في مجال الإنتاج وتنوعه في كامل القطر ومن المنتوجات التونسية نجد القمح يتصدر هذه القائمة لأهميته ثم الشّعير فالذّرة والخضر من اللوبيا، الحمص، القصب، والسكر ومنتجات أخرى مثل: الكتّان، القطن والفواكه من النخيل والزّيتون، الحوامض.

1- الحبوب:

أ/ القمح: لقد أنتج الفلاّح التونسي القمح و الشّعير والذرى باعتبارها من الزّراعات التي تشكل الغذاء الرئيسي الأساسي للأغلبية وخاصة المناطق الريفية بالوسط والجنوب، وبزرع القمح بصفة خاصة في المناطق الشمالية حيث تتوفر الأمطار إلى جانب الشعير والبقول وكان حراث الماشية (

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 34-39.

[2] رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا، المرجع السابق، ص 34.

10هكتارات)[1] كما أنّ الإنتاج كان فائضا عن نسبة السكّان الأمر الذي يحتم على المالكين تغيير مخازنهم في كل سنة[2]، واعتماد الفلاح التونسي على سقاية الأرض لإيجاد مساحات مروية، فلم يكن يعتمد فقط على كميات المطر المتهاطلة في السنة وينتج الحبوب في كامل المنطقة الشمالية لتونس واشتهرت به في كل من ماطر، ويتم تصديرها من الساحل وبنزرت ورأس بون[3] وقد وصل سعر رغيف الخبز من القمح في العهد الحسيني وزنه 36 اوقية وبسعر 1 ناصري، كما وصل ثمن رغيف من القمح إلى 08 ريالات.[4]

ب/ زراعة التبغ:

امتص الفلاح التونسي فلاحة التبغ أي ورق التدخين والنشوق، وكان يزرع من جهة باجة وتبرسق[5]، ويزرع في سهول جهات حبل مقعد[6].

1. الحناء:

وتزرع في جربة وفي مناطق من الجريدة وقد اشتهرت بها واحة قابس، ويتم تجفيفها ثم دقها لتستعمل مع الماء على اليدين أو شعر الرأس.[7]

2. الخضر:

ففي جزيرة جربة التي يحيط بها الماء من كل جهة فقد كانت تنتج مختلف الفواكه كالزيتون والعنب والإجاص والرمان والتين واللوز، وتتلقى كميات كبيرة من المطر، وهو ما جعل أسواقها تنمو وتنتظم كما إمتهن سكان جربة إنتاج كميات كبيرة من الزّيتون الذي يبيعونه لذا المناطق الشمالية و الوسطى

---

[1] بن جمعة بلقاسم إبراهيم، الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من 1861 إلى 1864، الشركة العامة للطباعة، تونس، 2002، ص 75.

[2] الزبيري محمد العربي، مدخل إلى المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975، ص123.

[3] hedi, chérif , opcit– p284.

[4] ابن خوجة عثمان، مرجع سابق، ص61.

[5] بيرم الخامس محمد، الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج1، ط1، المطبعة الإعلامية، مصر، 1302هـ، ص123.

[6] باسيونال، الرحلة، نفس المرجع السابق، ص 137.

[7] بيرم الخامس، المصدر السابق، ص 121.

تغلب عليها فلاحة الحبوب والبقوليات والخضر مثل: الفول، اللوبيا، الحمص، البصل، فلفل أخضر وأحمر، واللفت...إلخ.

3. الزيتون:

يوجد به عدة أنواع بتونس ويستخرج منه زيت الزيتون واجوده زيت زيتون بلد قفصة وبلد توزو بحيث يكون ألّذّ طعما وأنقى لونا كأنه ماء، ومن أنواع الزيتون هناك ما يسمى ب "المرسلين" وهو ذو لون أخضر متوسط الحجم مائل إلى الطول دقيق النوى[1]، وكذلك نوع آخر من الزيتون يسمى "الطمازلما" الكبير الحجم أسود اللون.[2]

و قد وصل سعر مطمر الزيت في عهده إلى ثلاثة أرباع[3] كما عرفت تونس حملة حافلة بالنشّاط الفلاحي، ظهرت خلالها غايات كاملة في مختلف أرجاء البلاد في الجريدة وقابس– صفاقس– جربة– القيروان– ماطر– العلا– الكاف– سوسة– سليمان وغيرهم.[4]

كما كانت جهات الوسط تمد الساحل الزيتوني بالعمال للجني والعمل بالخمّاسة وأجر عامل في ضيعات الزيتون فعلى كل 100 شجرة زيتون يتقاضى 04 ريالات.[5]

اقتصاد تونس خلال القرن 19 م فقد قام محمود باشا باي في نوفمبر 1819 م بإصدار قرار غّير بموجبه الضريبة المفروضة عليه وتحويلها من 04 نواصر على شجرة إلى أداء سنوي متمثل في العشر، ويقدّم إلى وكيل مفوّض من طرف الدولة.[6]

ج/ النخيل:

تميز الجنوب التونسي بعدة غابات للنخيل في عدّة واحات التي صورها صاحب الصفوة في قوله "والنخيل غير أني في غير الجريد لا يثمر إلى ثلاثة أنواع وهي اليسر الأخضر والأصفر

---

[1] الهادي التجومي، تاريخ تونس الاجتماعي، 1881–1956م، ط2، نشر دار محمد علي الحامي، تونس، 2001، ص 265–266.

[2] بيرم الخامس، المصدر السابق، ص 115–117.

[3] المرزوقي فتحي، المرجع السابق ، ص 196.

[4] عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تعريب حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص115.

[5] بن جمعة بلقاسم، مرجع سابق، ص 75.

[6] ابن أبي ضياف أحمد ، إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس، دار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1977، ج3، ص 167.

والرطب أما في الجريد فله أنواع عدها بعضهم ثمانين نوعا ومن أشهر أنواعها تمور دقلة التي تمتاز بالحلاوة ولذة الطعم وقد اهتم سكان المنطقة الجنوبية من تونس بهذا النوع من الفلاحة فمن جربه إلى غاية وادي ريغ بالجزائر[1]، وقد وصلت ثلاث أرطال من التمر بناصري في عهد حسين بن علي.[2]

د/ العنب:

وقد أورد التمقروطي عن إنتاج العنب وغيره بمنطقة بنزرت فقال "أنّ بنزرت كثيرة الزرع رخيصة السعر كثيرة العنب والتّين وعنبها أجود من عنب تلك السواحل كلها ومنه يجلب غلى تونس"[3] ويقول ابن ابي دينار في إنتاج حاضرة تونس لهذا المنتوج كان بداخلها في فصل الخريف كل يوم من ألف حمل العنب، من تين وبطيخ وغيرهما من الفواكه الرطبة والياس حتى أنه دخلها في سنة 1061هـ/1650م ، إلى جانب أنواع أخرى من أشجار في الغابات التونسية المثمرة البلوط ، البندق، القسطل، والجوز الذي استعملت قشوره في الصباغة و أنواع أخرى من التفاح، المشمس، الإجاص، اللوز، التين، الخوخ، الهندي وكان يستعمل هذا الأخير كسياج على الحقول، وكذلك نجد في الأشجار المثمرة: السفرجل، العنّاب، الرّمان وأشجار غير مثمرة مثل: الصنوبر، والعرعار وكان خشبها وجذورها يستخدم لإنتاج الفحم الذي يتم استهلاكه في تونس.[4]

بالرغم من الكوارث الطبيعية التي عاشتها البلاد إلى أن هذا لم يمنع حمودة باشا من الاهتمام بالمجال الزراعي، وكان الأهالي التونسيون كانوا هم الآخرين يمارسون النشاط الفلاحي، ولتشجيعه الأهالي في ممارسة الفلاحة أراد أن يكون الباي حمودة بنفسه قدوة لرغبته إذ كان ينزل بنفسه إلى الحقول ويباشر العمل فيها، وفي هذا التحدي قال: "ابن أبي الضياف" عن حمودة باشا انه: "كان

---

[1] chez les Féraud « mottes sur voyage en Tunisie et en tripolitaine » Im R- A20 N°119- 120 SEPTEMBER, 1876, p510.

[2] محمد ابن الخوجة، مرجع سابق، ص61.

[3] التمقروطي، الرحلة, ص 118

[4] Henry dument, notion sur la régence de Tunis société tunisien de diffusion, Tunisie, 1975, p96.

يباشر الفلاحة بهنشير المرناقية ويركب غالبا في كل أسبوع ليقتدي بغيره في مباشرة أموره"[1]، فقد كان يحاول تقديم يد المساعدة للضعفاء والتساهل معهم ويخفف عليهم الجباية وربما يسقطها في سنين الجفاف[2] وهذا ما شجع الفلاحون على الاندفاع لإحياء الاموات الاراضي.

لم تتوقف جهود الباي حمودة عند اهتمامه بالفلاحين فقط، بل أراد أن يوفر لهم الوسائل و التقنيات الحديثة للزيادة من مورد الإنتاج خاصة المحاصيل التي كثر الطلب الخارجي عليها كالحبوب والزيتون كما تذكر بعض التقارير بأنّ إنتاج تونس أضحى يزداد سنة بعد سنة ففي السداسي الأول لسنة 1788 م شحنت إلى مختلف الدول الأوروبية كميات معتبرة من القمح، الشعير، وزيت الزيتون، نمثلها في الجدول التالي[3]:

المنتوج	مارسيليا	كاليفورنيا	جنوة	برشلونة	مالغا	المجموع
الزيت	18-2920	29-190	62-400	-	-	27-4510
القمح	27-4510	27-4510	27-4510	27-4510	27-4510	27-4510
الشعير	30-672	31-680	-	-	-	62-352

حماية الفلاحين من ظلم الملتزمين، لم يكن الباي بغافل عما كان يمارسه الملتزمون[4] من ظلم في حق المزارعين فهم بالإضافة إلى الاراضي التي منحتهم إياها الدولة، فقد كانت أيديهم تميل إلى

---

[1] رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا الحسيني في المجال التجاري، المجلة التاريخية المغربية، عدد 2، جويلية 1974 م، تونس، ص 102.

[2] المرجع نفسه، ص 113.

[3] Daniel danzace, les corsaires barbaresques, la fin d'une épopée (1800-1820)- ED-méditerranée, France, 1999, p21.

[4] **الملتزمون:** يطبق الملتزمون ما يعرف بنظام الالتزام وهو نظام كان معمول به منذ عهد البيزنطيين بأقاليم الأناضول، وهو عبارة عن قطعة أرض تمنح للملتزم بالمقابل يقوم هذا الأخير بدفع قسط من المال يساوي حصة سنة من ضريبة الأرض، إبراهيم دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية وأثر الغرب الأوروبي فيها (1789-1807)، مشاة المعارف، الاسكندرية 2006م، ص 46.

أراضي المزارعين بحجة أن تمتلك الاراضي هي ملك للدولة، إذ كان يسمح للفلاحين الذين نهبت منهم أراضيهم برفع شكاويهم إلى وكيل الباي.[1]

ثانيا: مميزات الحرف بين المدينتين:

1. الحرف في قسنطينة:

وقد عرفت قسنطينة و بايلك الشرق نشاطا صناعيا تميز بالطابع التقليدي في الحرف، وكان الأجانب يشتغلون في عدة حرف أكثر انتشارا في المدينة.

كما كان هذا النشاط مقسما في شكل اتحادات معنية في المدينة، والتي شكلت مصدرا لتمويل الخزينة، وعرض المترجم العسكري الفرنسي شارل فيرو صورة عن هذه الاتحادات، نقلها عن مخطوط عربي محلي لم يذكر عنوانه أو اسم مؤلفه، وكانت هذه الاتحادات المهنية تتميز بحق الملكية، ويبدو هذا التقسيم ألة مرتبط بالنّظام الإسلامي، الذي حدد معايير، بموجبها تتجمع الصناعات المتجانسة في مكان واحد وهذا النموذج كان سائدا قبل العهد العثماني.[2]

كانت الصناعة في مدينة قسنطينة بسيطة وقد اعتمدت على الصناعة المحلية والبدوية وكذا المعدنية لكنها كانت أهم مدينة صناعية في الجزائر، فهي وحدها شملت على 33 معملا لدباغة الجلود، وخمسة وسبعون مهملاً للسروج، و 167 معملا للأحذية، رغم الميزة التقليدية لتلك المنتوجات الصناعية.[3]

الحياكون، ويتولون صناعة الملابس الصوفية والقطنية، وحياكة الزرابي والخيم والأغطية...إلخ.

الفخاريون، ويقومون بصناعة الأدوات الفخارية، وهي صناعة بالغة الاهمية لأن جميع الاواني المستعملة في ذلك الحين كانت من الفخّار أو من الخشب.[4]

---

[1] رشاد الامام، سياسة حمودة باشا، مرجع سابق، ص 268.

[2] عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 16 الهجري، ط1، بيروت، دار الشرق، 1983، ص 239.

[3] الورثلاني، المصدر السابق، ص 416.

[4] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 63.

وهناك أيضا في قسنطينة جمعيات مهنية اخرى، ولكنها ثانوية بالنسبة للمذكورة أعلاه، وأهمها جمعيات: البناءين، والبياضين، والزواقين و الكواشين والجزارين، والصواينية، والدخاخنية، والقهاوجية، والدلالين والكتافين، والحفافين، والصباغين، والغرابلية، والخياطين...إلخ.

و الجدير بالذكر أن عددا من هذه الجمعيات الحرفية كانت تستعمل أدوات يستورد معظمها من أوروبا ومن نفس البلاد أيضا، تجلب بعض المواد المصنوعة كقطع الأسلحة، والمسامير وغيرها من الأشياء اللازمة لممارسة كثير من الحرف.

كما كان بقسنطينة مجموعة من الحرف، كالخياطة التي تميزت بإدخال الذهب والفضة في عملية التطريز، وكذا وجود مجموعة من النساجين الذين ينسجون الأقمشة الصوفية والسترات الخاصة بالطبقة الفقيرة.[1]

وكان العامل القسنطيني ينطوي تحت هيئات منظمة حسب الحرف والتي مازال معظمها قائما حتى الآن وهي كالآتي:

– النّجارون، يهتمون بصناعة الصناديق وغيرها من الأثاث التي تصنع من الخشب الذي كان يتم جلبه من الأوراس.

– الحدادون، الذين يقومون بصهر الحديد وبعدها يضعون الأدوات الحديدية كالمناجل والمحراث.

– النّحاسون، الذين يهتمون بصناعة الأواني النحاسية وتزيينها من خلال النقش عليها.[2]

– الجلاّبون، وهم المختصون في تربية المواشي وتسويقها.

– الثقماقجية، ومهمتهم صناعة الأسلحة واصلاحها عند الكسر، ويلحق بهذه الهيئة جمعية السرارين أي الذين ينحتون الأجزاء الخشبية من البنادق والسيوف خاصة.

لقد تطورت الصناعة في عهد صالح باي وأصبحت مواردها تشكل مردودا هاما من موارد الخزينة فنشطت الورشات والمعامل التي كانت موجودة بالمدينة والدّليل على هذا التطور الإحصائيات التي جاءت في بعض الوثائق التي كانت معاصرة لهذه الفترة.[1]

---

[1] وليام شالر، مذكرات وليام شالر، المرجع السابق، ص 20.

[2] قشي فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص20.

فيذكر "الورثلاني" أنّ مدينة قسنطينة خلال القرن 18 كان بها أكثر من 28 سويقة وسوق، 21سباكا، و07 تربيعات يتجمع فيها صنّاع النسيج و04 رحبات لعرض السلع، 05 أفرن للخبز و27 مطحنة لطحن الحبوب.[2]

2. الحرف في تونس:

لم تكن الصناعة أقل أهمية من النّشاط الفلاحي، حيث لقي هذا النّشاط هو الآخر عناية من طرف الباي، خاصة وأنّ أوضاع الصناعة المحلية كانت مترديّة قبل فترة حكم حمودة باشا.

فحسب بعض المؤرخين من بينهم ويمون " RYMAN" الذي ذكر في كتابه أنه: "منذ بداية القرن الثامن عشر بدأ الحرفيون يتخلون عن منتجاتهم التقليدية أمام تدفق المنتجات الأوروبية الصناعية المتفوقة، ولم يعد التجّار المحليين باعة للبضائع المستوردة"[3]، وهذا ما يؤكده " السنوسي" في قوله: "فحدث أن تكدّست سلع الصناعات المحليّة وبالتالي راجت السّلع الخارجية".[4]

و أمام هذا التّراجع للسلع المحلية، حاول الباي حمودة أن يعيد الاعتبار للصناعة المحلية، وكانت البداية منه، عندما رفض أن يستمر في ارتداء الطيلسان المستورد، وأمر أن يأتوا بطيلسان من الإنتاج المحلي وكان ذلك بمناسبة أداء صلاة عيد الفطر وتلقي وفود التهنئة في القصر، وقد لاحظ رجاله أن الطيلسان الذي اتخذه الباي لم يكن ذاته الذي اعتاد على اقتناءه فقال لهم: "هو عندي أفخر من الكشمير المجلوب، لأن ثمنه لم يخرج من البلاد"[5]، "وفي ذلك اليوم ترك جميعهم الطيلسان الكشمير ولسوا مثل لبس الأمير".[6]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ص69.

[2] الورثلاني، المصدر السابق، ص 416.

[3] أندريه ريمون، مرجع سابق، ص 173.

[4] أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف تحقيق وتعليق محمد الشاذلي النفير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ج1، ص121.

[5] ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ص 101.

[6] محمد بن عثمان السنوسي، مصدر سابق، ص 121.

وكان ذلك بعقد معاهدات تجارية مع بعض الدول الاوروبية للحصول عليها منها المعاهدات التي عقدها إلى إسبانيا للحصول على السيوف الرّفيعة لصناعة الشاشة.

وهذه الصناعة التي كانت متواجدة في تونس وقد ساهمت الجالية الأندلسية كثيرا لإبراز هذه الصناعة حتى أصبح لها شأن بين الدول، ويذكر الطيب فرانك (FRANK) أهمية هذه الصناعة في البلاد التونسية في قوله " إنّ أهم الصناعات الحرفية بتونس هي بدون منازع صناعة الشاشية التي كانت تحظى في تونس برواج يفوق رواج الشاشية المصنوعة في أوروبا بفضل شكلها وجمال لونها... ولم تكن تنقص التونسية بصفة عامة الخبرة في مجال العديد من الصناعات الحرفية وكان يوجد في المدن العديد من المحلات لصنع أنواع الأقمشة و الملابس"[1].

لم تكن صناعة الشاشية لوحدها رائجة في البلاد بل كانت هناك صناعات أخرى منها:

صناعة الحرير:

عرفت هذه الصناعة رواجا كبير، بمدينة تونس، ولهذه الصناعة معلمون عارفون بها، حيث يصنعون مناديل من الحرير تصنع من الفضة تغطي به المرأة التونسية رأسها، كما تضع أحزمة حريرية وأعجرة التي تتحجب بها النسوة.[2]

1-2 الصناعة النسيجية:

حسب "ابن ابي ضياف" كان يتواجد بتونس مناطق تهتم بصناعة النسيج وهي: سوسة، الحمامات، الجريد وجربة، ويذكر أنه كان يضع فيها نسيج الصوف ونسيج الحرير[3]، وقد شاهد يواري " Poiret" سكان مدينة تونس يليسون ثيابا يقول أنها تظهر من النوعية الحسنة وتتمتع بالبياض الناصع[4]، والطبيب فرانك "Frank" هو الآخر لم يغفل عن ذكر التحسن الذي شهدته صناعة النسيج،

---

[1] Marcel, dissipation de cette régences par le Dr l'ouïs Frank, Ed bouslama, Tunis, Say-date, p 129.

[2] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية الهداية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، دراسة وتحقيق الجيلالي بن الحاج يحي، تقديم محمد البعلاوي، ط1، دار النشر سراس للنشر، تونس، 1994، ص 108.

[3] محمد بن عثمان الحشايشي، المصدر السابق، ص 101.

[4] L'abbé porte, voyage en barbarie ou lettes de l'ancienne pendent les années 1785 et 1786, sur la religion, parle 1789, p32.

النسيج، إذ يذكر ان ورشات النّسيج كانت منتشرة في أغلب أحياء تونس ويضيف أنّ تلك الورشات كانت تنتج منسوجات حريرية وصوفية في درجة من الإتقان[1].

وهذا التقدم الذي أحرزته تونس في مختلف الصناعات هو الذي يبرر ما ذكرته المؤرخة فلتري "Valens" عندما قالت "إن الصناعة التونسية جديرة بأن تقارن بالصناعات الكبرى الأوروبية"[2]، ومن بين المناطق التي استمرت بالصناعة النسيجية هي جزيرة جرية التي تخصصت كثيرا في نسيج الشالات التي نالت رواجا في تونس، إذ كانت تتميز بأدّق وأتقن شالات شمال إفريقيا.

صناعة العطور:

عرفت صناعة العطور هي الأخرى مكانة بين الصناعات التي تواجدت في مدينة تونس فمن خلال رحلة الأب رينال "Raynal" وجدنا أنه وصف مدينة تونس في نظافتها وجمالها من خلال الأشجار المزهرة المختلفة الأنواع التي كانت تزخر بها تونس، وقد أعجب الرّحالة بهذه الأشجار إلى درجة جعلته بصفتها أنها من بين أجمل أشجار العالم.[3]

و استطاعت تونس أن تستغل وورد وأزهار تلك الأشجار في صناعة عطور لا تقل جودة عن تلك التي تنتج في الخارج، وقد تمكنت تونس من تصدير كميات كبيرة من تلك العطور.[4]

و التاجر مجيل (magil) هو الأخر يصف عطور تونس أنها كانت من النوعية الممتازة خاصة التي تضع من الورود البيضاء وهي الفصلية التي كانت مستغلة من طرف الحرفيين لأن هذا النوع تصنع منه عطور طبية ويذكر أنها من المواد التي تستحق أنّ تكون لها مكانة بين المنتجات التي تصدرها تونس إلى الخارج، وبأسعار رخيصة تقدر ب 5 بياستر (piastre) في المقابل تباع نفس العطور في دول أخرى بمبلغ 70 إلى 80 بياستر.[5]

---

[1] Marcel, op, cite, p 100.

[2] المرجع السابق، ص 71.

[3] Ibid. p 165.

[4] Marcel opcit p 135-136.

[5] Opcit p 163.

كانت الأشجار المزهرة بتونس متوفرة بكثرة وممتازة في نوعيتها منها شجر البرتقال والورود وكان التونسيون قد استطاعوا الحصول على زهرة برتقال ذات قوة في أريجها يفوق أريج زهور برتقال مالطة الشهيرة، أما الورود التونسية فقد أعطت ماء ورد وعطرا لا يقلان جودة عن نظيرتها المجلوبة من الهند إلاّ بمقدار يسير، كما استطاع التونسيون أن يحولوا هذه الحرفة إلى قطاع تجاري يدّر الأموال على البلاد التونسية من خلال الكميات الكبيرة التي كانت تصدّرها نحو الخارج وخصوصا المشرق.[1]

وكانت منطقة تونس العاصمة ونابل وصفاقس تصدرها نتيجة من عطور طبيعية وطيبة الرّائحة[2]، كمعمل تونس لتقطير العطور و أخر لصنع العنبر[3]، وقد أسهم حتى الحكام التونسيون في هذا الميدان مثل محمود باشا باي الذي شغف بخلط أنواع من العطور، وقد استخرج أنواع جديدة منها كمساهمة منه مثل العطر الذي اخترعه وأسماه بالفشوش.

لقد راج في تونس عدد من الحرف والمهن منها الخزف، السجاد، الجلد والصناعات المكونة من الجلد والحلفاء وجميع هذه الحرف كانت تصدر منها إلى الخارج وبكميات كبيرة فكانت تدر على البلاد التونسية أموالا طائلة، ومن أهم الصناعات التي راجت:

1- الحرف التقليدية والمحلية و منها:

الصناعات الصوفية وعلى رأسها:

الشاشية: لفظة إسبانية تعني القلنسوة والشاشية غطاء للرأس وهي شبيهة بالطربوش، كانت هذه الصناعة موجودة منذ الحكم الحفصي، وعمل عثمان داي على تطويرها، خصوصا بحلول الاندلسيين إلى تونس، بحيث قدم لهم ما يحتاجونه فزادت صناعة الشاشية وراجت في أنحاء تونس.[4]

---

[1] V. Guérin, voyage archéologique dans la régence de Tunis, t1, Henri Plon, imprimeur- éditeur, paris, 1862 ; p30.

[2]

[3] زييس سليمان، اثار الدولة الحسنية بالقطر التونسي، مطبعة سابي، تونس، 1995، ص44.

[4] بنت معجب بن سعيد حامد، نورة ، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، 1256- 1326 هـ ، 1840-1908 م، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2005، ص.

في سنة 1724 يذكر "باسيونال" أنها تشتغل من 10 ألاف شخص ينتجون قرابة 40 ألف دزينة في عهد حسين بن علي، كما كانت تجلب لها من الخارج الصوف المعالج من إسبانيا[1]، و استمرت الشاشية في النشاط والزيادة في الإتقان، فلما تولى حمودة باشا اهتم بها وزاد في تشجيعها وتمويلها وحمايتها وللحفاظ على نشاط هذه الحرفة أقام حمودة باشا معاهدة صلح مع اسبانيا لتأمين الصوف الممتاز لها بحيث وصلت إلى 300 معمل تشغل أكثر من 70000 صانع ومساعد.[2]

وكانت عملية أنتاج الشاشية يقتضي عدة مراحل وعمليات ملقاة على عاتق الحرفيين المتخصصين فمن فرز الصوف وتنظيفه وعزله من طرف النساء خاصة بضاحية العاصمة في أريانة، وبعدها تنقل إلى مشغل العاصمة لعملية الندف (القردشة) و الجزّ وبعدها يتم نقلها إلى زغوان لصبغها لتعود من جديد للمشغل لندفها من جديد وتتم عملية الصنع والتوضيب في الحوانيت قصد البيع، وقد وصل في نهاية القرن 18 م عدد الأعراف المعلمين حوالي 300 وعدد العاملين بها حوالي 15000 عامل وكان الإنتاج يفوق 1200.000 شاشية يصدر منها جزء كبير نحو مصر واسطنبول وباقي المناطق الاخرى المشرقية والمغربية[3]، ومما يدل على أهمية الشواشين وصنّاع الشاشية ما وصلوا إليه في عهد حمودة باشا من مركز اجتماعي هام هو إجاد مكلفة بضبط شؤون صناعة الشواطئ ويسعها في الداخل والخارج، فتراجعت مداخيلها التي كانت تدرّها على تونس وهذا بسبب الأوبئة التي ضربت المنطقة وما خلّفته من نتائج، ويذكر "رشاد الامام" انّها أفنت ثلاثة أرباع من الاختصاصيين العاملين في هذا الميدان[4]، ويرجع "بيرم" السبب في تراجع تجارة الشاشية التونسية إلى المصانع الحديثة التي أنشئت في أوروبا وما أحدثت من تدني في الأسعار ومحافظة تونس على أنها القديسة في المصانع وتقنياتها التقليدية.[5]

---

[1] باسيونال، الرحلة، ص 62.

[2] الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة وتعريب حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 144.

[3] أحمد بن أبي الضياف، المرجع السابق، ص213.

[4] رشاد الامام، ، المرجع السابق، ص 273.

[5] نفس المرجع السابق، ص 273.

صناعة النسيج:

ارتبط هذا النوع من الحرف بالمواد الأولية وعلى رأسها الصوف التي توفرت في البلاد بكميات كبيرة، كما تفنن السكان في عملية غزلها و تلوينها لتعطي ألوان بديعة تدخل في الجانب الجمالي لهذا النسيج إلى جانب الصوف المستورد من الخارج وعلى رأسهم "حمودة باشا" بلباس للمنسوجات التونسية، نستنتج من ذلك تخلى المسؤولين والسكان عن شراء منسوجات مستوردة وفي حدود 1783 م كانت أهم الصناعات النسيجية المتواجدة في تونس مثل: نسيج الكتان ونسيج الحرير والصوف إلى جانب صناعة الأجوخ خاصة منها المذهبة وغيرها من الأجواخ المزركشة والمتنوعة.[1]

فانتشرت المعامل الخاصة بالنسيج بأغلب أحياء تونس العاصمة وتنتج كميات كبيرة من المنسوجات الصوفية متقنة الصنع، ونشطت مراكز عديدة منها مركز جزيرة جربة التي كانت تنافس منتجاتها منتجات الجريدة[2]، كما كانت تصنع بها منسوجات صوفية فاخرة وشهيرة منها: البرانس والبطانيات، كما اشتهرت مدينة توزوا بالمنسوجات الصوفية المتقنة الصنع من نسيج زرابي وأغطية تشغل حوالي 12000 نوال وعدد كبير من الصناع، وكانت السراجة والتطريز بالذهب والفضة والنقش على النحاس وصناعة الأثاث والصياغة والخزف، فكانت تونس بذلك في حركية دائمة ودورية سبقوها رواج موضوعاتها في الاسواق الداخلية والخارجية.

صناعة الحلي (L'Orfèvrerie):

إلى جانب الصناعات السابقة نشطت كذلك صناعة الحلي، وخاصة ترصيع المصوغ بحجر الألماس الكبير الحجم، غير أنّ صناعة الحلي من معدن الفضة كان معظمه في يد التجار والصناع اليهود، سواء في العاصمة أو خارجها، كما اشتهرت أنواع من المصنوعات المطرزة بالذهب والفضة مثل:

[1] Féraud, notes sur un voyage, R.A, p511.

[2] الورثلاني الحسن بن محمد، نزهة في فضل علم التاريخ والاخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية، مطبعة بيرفونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص 117.

محافظ الجيب، السوق BOTTES، السروج، بيوت الخرطوش، الحميلات الأغماد و الطبنجات وغيرها.[1]

ث/ الصناعات الجلدية:

وكانت صباغة الجلود مصدر نشاط صناعي كبير كما كانت الاحذية التونسية (البلغة) التي تشغل عدّة ألاف من العمالة خاصة في العاصمة وصفاقس والقيروان، وهي مطلوبة في كامل البلاد الإسلامية.[2]

كما وجدت مصالح استخرج منها الملح وبتونس يوجد منطقة قصر الملح "بثور" وهي سبغة تحمل منها السفن الملح لشهرته في الخارج لذا يقوم الاوروبيون بالأخذ منه بكثرة[3]، كما تكثر بتونس معاصر الزيتون التي انتشرت بجوار غابات الزيتون على الخصوص.[4]

تراجعت في القرن 19 م أما بسبب المنافسة أو من جرّاء عزوف هؤلاء الصنّاع التونسيين عن مهنهم التي لم تصبح توفر لهم مداخيل تسمح لهم بالحياة الكريمة.[5]

2/ المشاغل التعدينية و التحويلية:

أما فيما يخص المشاغل التعدينية والتحويلية فقد كانت تحت نظر السلطة الحاكمة فكانت أهم الصناعات في تونس.

ج/ صناعة الاسلحة ومنها:

صناعة البارود: كان يوجد بالعاصمة التونسية مصنع للبارود ولكنه لا يلبي حاجيات تونس فقام الباي حمودة باشا سنة 1787 م بإنشاء مصنع حديث للبارود جلب له خبراء من فرنسا اشرفوا على إنشاءه، وكان هذا المصنع ينتج بارواداً جيدا، غير أن التونسيين لم يتعلموا صناعته، لأن سياسة

---

[1] الامام رشاد، المرجع السابق، ص 276.

[2] الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة وتعريب حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1984، ص 117.

[3] الورثلاني ، المرجع السابق ص 650.

[4] Dunant, opcit, p 100.

[5] E. Pélissier, Description de la régence de Tunis 2eme Edition bouslane, Tunis 1980, p 375.

حمودة باشا تقضي أن تكون هذه الصناعة سرا من الاسرار الحربية، ولكن هذا المصنع لا يصل إلى جودة الموضوع بأوروبا.[1]

أنشأ حمودة باشا مصنعا يشتمل على عدة معامل لصناعة المدافع وقذائفها، وهي تحتوي خاصة على معمل لتذويب النحاس والحديد وصبه لصناعة القذائف وفي سنة 1787 م طلب حمودة باشا من فرنسا شراء كمية من المعدّات و الآلات من مدينة تولوز لتأسيس مسبك جديد للتذويب لصناعة المدافع.[2]

وفي سنة 1803-1804 م لما حلّ بالبلاد من قحط شديد بعث إلى السلطان المغربي لشراء المؤونة فقد أهداه كمية من النّحاس قام الباي بإذابتها وأنتج ما يزيد عن 100 مدفع.[3]

أما فيما يخص صناعة القذائف المدفعية فقد أقام حمودة باشا معملا خاصا لذلك في سنة 1795 م، وقد أنشئ هذا المصنع في القصبة ولكن في الصناعة تراجعت في القرن التاسع عشر غذ ما قورنت بالأوروبية.[4]

الصناعات الخشبية: وعلى رأسها "بناء السفن": بسبب شريطها الساحلي الطويل المشرف على ساحل البحر الأبيض المتوسط أعطى لمنطقة تونس موانئ طبيعية تكون كدور لبناء السفن، وكانت من ضمن هذه الدار بعلق الواد سنة 1764-1765 م، سفينتين حربيتين في عهده، كما كانت فرنسا تقدم خدمات إلى تونس في هذا الباب وقد استلمت تونس من فرنسا بعض هذه المواد سنة 1792 م وكذلك دار صناعة السفن في بنزرت.

ففي ديسمبر 1814 م تلقت تونس من السويد إتاوة سنوية اشتملت على 44 مدفعا صغيرا مع كمية كبيرة من الأخشاب والاسلاك الفولاذية، حبال، بارود واسلحة.[5]

---

[1] رشاد الامام، سياسة حمودة باشا، المرجع السابق، ص 215.

[2] نفس المرجع السابق، ص 118-217.

[3] ابن ابي ضياف،ج3، مرجع سابق، ص 54.

[4] AV, Guérin, voyage, p31.

[5] روسو أنوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة التسلسي، بيروت، 1982، ص 311.

في سنة 1820 م مدت الدولة العثمانية مساعدات ب 12 مدفعا نحاسيا وكمية كبيرة من الأخشاب والف قنطار من البارود وكور وحبال وغيرها من آلات السفن.[1]

ولكن هذه الصناعة في القرن 19م عرفت نوعا من التراجع حتى أن المنطقة أصبحت تشري هذه السفن جاهزة من أوروبا عن طريق تقديم طلبات تصنيع مثل سنة 1821 م، وقامت بإرسال شحنات كبيرة من زيت الزيتون والأصواف.[2]

كما استعملت الأخشاب في الحرف الأخرى المفيدة كالنجارة التي كانت تنتج أدوات رائعة في الجمال كأثاث و أواني تستعمل في المنازل والبيوت.[3]

وقد عرفت هذه الصناعات ركودا في النصف الثاني من القرن 19 م، وهذا راجع إلى غلاء المواد الأساسية كالصوف الجيدة وكذا دخول المنافسة الأوروبية الجيدة وبأقل سعر.[4]

صناعة الخزف و الأدوات الفخارية: مهد الصنّاع الأندلسيون في تونس وبعض جهات الساحل والطن في صناعة نوع من الخزف المكسو بالطلاء المعروف بالزليج الذي كان يستعمل لتغطية أرضية المنازل وكساء الجدران وتزيين المساجد والعيون والأبواب ويلحق بهذا النوع من الصناعة الفخارية الورشات العديدة بفحوص المدن الكبرى حيث يعالج الرّخام ويحضر الجبس ويضع الأجر والقرميد المجوف المستعمل في تغطية سقوف المنازل في الجهات الساحلية الخاصة.[5]

---

[1] ابن أبي الضياف، ج3، مرجع سابق، ص 44.

[2] روسو، الحوليات، نفس المرجع السابق، ص 341.

[3] الثعالبي، المرجع السابق، ص 117.

[4] بنت معجب بن سعيد حامد، المرجع السابق، ص 165.

[5] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر الثقافي من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2003 م، ص 66-67.

ثالثا: مميزات وخصائص الرّعي.

1. الرّعي في قسنطينة ومميزاته:

كما كانت حرفة الرعي اكثر انتشارا إذ يمارسها السكان بشكل واسع[1]، حيث كان إنتاجها كبيرا وتجاوز عدد رؤوس الماشية عدد السكان[2]، لكن الإنتاج تراجع وتأثر بالأحداث الداخلية والحملات العسكرية ضد القبائل ومصادر مواشيها.[3]

إلى جانب هذه المزرعة فقد كانت هناك ثروة حيوانية حيث يذكر الورثلاني خلال القرن 18 م، أن السكان قسنطينة كانوا يملكون المواشي وكان إنتاجها كبيرا، وأنّ عدد رؤوس الماشية في المدينة قد تجاوز عدد السكان.[4]

يم يبق هذا الإنتاج على هذه الحال فقد تراجع نتيجة للأوضاع التي سادت المدنية من مجاعات وحروب وحملات عسكرية ضد القبائل والتي أدت في الأخير إلى مصادرة المواشي كضريبة حرب.[5]

لقد كان الشرق الجزائري يشتمل على كثير من الأراضي الخصبة الشاسعة والمراعي التي تكثر فيها أنواع المواشي، وخاصة منها البقر الذي كان يزيد عن الكفاية فيصدر منه إلى الخارج وهناك دليل على ازدهار الثروة الحيوانية في هذه الناحية نستخرجه من القانون المحلي الذي تخضع إليه القبائل في حياتها اليومية.

وتذبح الأبقار والأغنام أيضا في الأعياد والمواسم وفي المناسبات الكبيرة.[6]

2. الرّعي في تونس ومميزاته:

---

[1] مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر، 1816-1826 م، تقديم وتعريب إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 33.

[2] العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، نفس المرجع السابق، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص 27.

[4] الورثلاني محمد بن الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ الاخبار، ص 415.

[5] وليام شالر، نفس المرجع السابق، ص 33.

[6] محمد العربي الزبيري، نفس المرجع السابق، ص26.

1- الثروة الحيوانية:

فقد تميّزت جهات الشمال التونسي بتربية الأبقار بينما الوسط اعتنى السكان بالمواشي في حين كان الجنوب مكان لتربية لإبل[1]، وكانت للقبائل التي تقوم بتربية المواشي تعتمد على التنقل في منطقتنا لإراحة الأرض ففي الشتاء يتوجهون نحو الجبال للاحتماء، كما يقومون في نفس الوقت ببذر أراضيهم التي يعودون إليها وقت الحصاد[2]، وكانت تتم عملية استغلال هذه الثروة عن طريق عقد الشغل المعمول به في تونس ويعرف تحت اسم عقد " رعي" بربط صاحب القطيع والرّاعي الذي يقود العديد من قطعان الماشية في اتجاه المرعى بالشمال وكانت أغلب تلك العقود شفوية،[3] وتبرم عند نهاية الجزّ في كل سنة في حدود شهر أفريل والعقد صالح لمدة سنة غير قابل للفسخ من طرف الرّعي عكس المالك[4]، ووصل سعر الكبش إلى نصف ريال وقلة من السمن بخمسة أرباع[5]، إلى جانب جانب وجود الخيول بأنواعها ومنها الجياد العتيقة، ويستعمل الخيل للركوب فقد وصل سعرها في عهد حسين بن علي إلى 20 ريالا أما الموجهة نحو جرّ العربات والحرث فقد وصلت إلى 08 ريالات[6]، وكذا البغال أما الحمير فهي موجودة بكثرة ولا يستعملها السكان للركوب خاصة سكان المدن وأعيان القبائل، وتركب من طرف العامة وتستعمل للعمل ومثل: ذلك الابل، ومن الثروة الحيوانية يوجد البقر والضأن والمعز وغيرها[7]، و أثناء قيام الدولة بحملات تأديبية على القبائل الثائرة او العاصية عادة ما كانت تصادر ثروتها الحيوانية تحول إلى الدولة بحيث تطبع أو توسم مثلها فعل حمودة باشا مع قبيلة أولاد يعقوب الذين تخاذلوا في فرض الأمن فقد صودرت خيولهم وحولت ملكيتها للدولة.[8]

---

[1] بن جمعة بقاسم إبراهيم، الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية، مرجع سابق، ص 64.

[2] باسيونال أندري الرحلة إلى تونس 1724، المرجع نفسه، ص 122.

[3] الهادي النجومي، مرجع سابق، ص 27.

[4] بن حميمة بلقاسم، مرجع سابق، ص 77.

[5] محمد ابن الخوجة، مرجع سابق، ص 61.

[6] المرجع السابق، ص 61.

[7] ابن ابي الضياف أحمد، أنحاف أهل الزمان بأخيار ملوك تونس المصدر السابق، ج3، ص63.

[8] التمقروطي، رحلة ، المرجع السابق ص 65.

كما توفرت المنطقة على مزارع تربية دودة القزّ وكانت أشهرها بقابس وقد أثنى بها التمقروطي في رحلته على أنها تحتوي على عدد كبير من أشجار التوت وبها تقام صناعة الحرير الذي بطبيعته وجودته.

2. الثروة السمكية:

توفرت السواحل التونسية على ثروة سمكية كبيرة إلى جانب المرجان[1]، وقد أثنى التمقروطي في رحلته على أن البلاد التونسية كانت من بين أكبر المناطق المنتجة لثروة السمكية ولوفرتها فقد وصف كل شهر يصطاد سكان تونس نوع معين من الأسماك وهو ما جعلهم، يميزون لأشهر نوع السمك الذي يصطادونه.[2]

واشتهرت بنزرت في هذا الباب ومن أشهر أنواع المصطاد : البوري، العاجوج، المحل، الطلطنة، الاسلينات، الشلبة، القاروص، اللاج، الجربة، الكحلا، القلا.[3]

وكان هذا النشاط تحت نظر الدولة فقد دفع كاهية مدينة بنزرت على مكان بيع السمك المصطاد فيها في سنة 1795-1796 م ما قيمته 40 ألف ريال تونسي[4].

و اشتهرت منطقة جربة بشحنها كميات كبيرة من الأسماك وعلى الخصوص الأخطبوط (poulpes): كما يتم تصليح وتجفيف السمك بها.

رابعا: مميزات التجارة.

1. التجارة في قسنطينة:

[1] الزبيري محمد العربي، مخل إلى المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1975، ص 123.

[2] الزبيري، المرجع السابق، ص 28.

[3] محمد بن الخوجة، نفس المرجع السابق، ص 65-66.

[4] رشاد الأمام، سياسة حمودة باشا، المرجع السابق، ص 220-224.

فقد كانت قسنطينة مركزا تجاريا هاما فأصبحت التجارة من اهتمامات البايات، وخاصة صالح باي كما ساعد الموقع والمدن المجاورة و موانئ عنابة وستوره على هذا النشاط وقوع المدينة على حافة إقليمين متكاملين هما الصحراء والتّل، ومرور جميع القوافل والمسالك التجارية وأصبحت المنطقة هدفا لنوافذ التجّار الإيطالية[1] والشركات الفرنسية وقد عرفت المبادلات الخارجية رواجا كبيراً، وكانت من أهم مصادر التمويل للخزينة[2] مما استلزم توظيف وكيل مكلّف باستلام الحقوق المفروضة على الصادرات والواردات[3] وكان الشرق الجزائري يصدر العديد من المنتوجات كالمرجان والأصواف والشموع والزيوت، وما زاد في الازدهار التجاري الغني الطبيعي والمواقع والامتداد والمنتوجات الهامة والتجارة العابرة للصحراء.[4]

لقد كانت مدينة قسنطينة منذ القدم مدينة تجارية، حيث يذكر الوزّان: "في رحلته أنّ أهل قسنطينة يجتمعون مرتين في العام في قافلة تجارية نذهب إلى نوميديا، وينقلون إليها أقمشة الصوف المصنوعة وبعض التجار يرسلون في هذه القافلة الزيت، والحرير إلى بجاية، بالإضافة إلى بعض المنتوجات الصناعية سواء كانت محلية أو مستوردة لأنّ المستهلك يحبذ الحصول على ما يحتاج إليه بطريقة مباشرة.[5]

أما المبادلات الخارجية فكان لها موقعها الهام جعلها ملتقى القوافل التجارية سواء الآتية من الشرق نحو الغرب أو القادمة من الشمال نحو الجنوب والشيء الذي زاد من أهمية هذه المنطقة هو قربها من الموانئ والشواطئ التي كانت تابعة لقسنطينة التي وجدت بها حركة تجارية ومن أمثلة هذه المبادلات التجارية بذكر " هانريش فون مالتيسن" أنه كانت كل شهرين تتجه قافلة تجارية تتألف من

[1] بولحبال رياض، المرجع السابق، ص 31-32.

[2] قشي فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 20-21.

[3] الورثلاني، المصدر السابق، ص 416-417.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 330.

[5] بولحبال رياض، المرجع السابق، ص 31.

مائة وخمسين إلى مائتين حمولة نقل محملة بالمحاصيل الزراعية والسلع وعرفت كذلك الموانئ البحرية وخاصة ميناء عنابة الذي كان يزود البايلك بمداخيل مقبولة.[1]

تتميز قسنطينة إحدى المراكز الاقتصادية المهمة في الجزائر إبان الحكم العثماني، وذلك يفضل سياسة البايات التي ترمي إلى تكوين نظام التجاري يعتمد على نظام الأسواق، حيث اشتملت قسنطينة على 28 سوقا وسويقة و 21 سباياط ومشكلة هذه الأسواق ذلك الوقت إحدى الحيوية للتبادل التجاري، وقد احتوت المدينة على الأسواق اليومية والتي تفتح أبوابها كل يوم للزبائن وهي أسواق متخصصة تجمع فيها مختلف الطوائف الحرفية في المدينة، وتتكون من دكاكين وحوانيت يمارس الحرفيون فيها حرفتهم ويسعون منتجاتهم فيها مباشرة، وبهذا يصل المنتوج وباب الود.[2]

وتمثل هذه الأسواق الأسبوعية فضاء مفتوحا يعطي فرصا كبيرة للبيع والربح، وهذا هو السبب الذي يجعل التجّار يأتون غلى قسنطينة من تأمل إقليم البايلك، كما تفتح تلك الأسواق أمام المشتري فرصا كثيرة للشراء وذلك بالاختيار بين الانواع.

فالعمل الحرفي الذي مورس في المدينة وارتباطها بمنتوجاتها، الرّيف سمح للباحثين بأن يصفوا مكان المدينة بأنهم كانوا تجّار و أصحاب صفقات.

هكذا شكلت الأسواق في قسنطينة مراكز تجارية تردد عليها التجّار للكسب والشّراء وغيرهم من السكان، الصنّاع، المالكين، الحاملين، حتى العبيد.[3]

لأنّ قسنطينة احتوت أكبر الأسواق في الشوق الجزائري، فالتجّار يأتوها من جميع النواحي يقل أنواعها السلع الضرورية التي تحتاج إليها المدينة، وقد كان تجار المدينة أن يبدلون ماني لتلبية حاجيات الناس ومتطلبات السوق، بالإضافة إلى المنتوجات المحلية هناك السلع المستوردة من الخارج عن طريق الموانئ تابعة لقسنطينة.

---

[1] هانريش فون مالتيسن، ثلاث سنوات في شمال غرفي إفريقيا، ترجمة أبو العبد دودو، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص69.

[2] يحي بوقز، طرق القوافل التجارية والاسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وحدها الأوربيون خلال القرن 19 م، مجلة الثقافية، ع 59، الجزائر، 1980، ص 19.

[3] أحمد أبي الضياف، المرجع السّابق، ص 40.

وقد عرفتها قسنطينة منذ القدم، فهذا الحسن الورثلاني، يذكر في رحلته أن قسنطينة كانت قافلة قسنطينة باتجاه تونس التي تستغرق مدة 25 يوما وتعود محملة بالأقمشة المطرزة والبرانس من النوع التونسي الرفيع وكذلك الحايك التونسي كما كانت للشاشية التونسية مكانتها في المجتمع القسنطيني.

كانت الموانئ تغذي الأسواق القسنطينية ببعض المواد الغذائية كالسكر، القهوة، والتوابل التي يستعملها في حياتهم اليومية بالضافة إلى بعض الكتان والورق ومن هذه المعلومات.

لكن ما الذي يأخذ التجار من أسواق قسنطينة[1]، يقول أحمدي باي في مذكراته: "أنّ كل ثرواتها تتمثل في القمح والاصواف لكن التجار لا يحملون هذا فقط بل تحمل القوافل معها من قسنطينة إلى تونس القصور والأصواف والجلود المدبوغة وريش النعام كما يذكر أبي الضياف "أن صاحب قسنطينة يشوي الأنعام ويبعثها إلى البيع بتونس يثمن بلوح بالإشارة إليه هذا عن السلع الموجهة إلى تونس.[2]

2. التّجارة في تونس:

ارتبطت التجارة الداخلية في تونس بالنتاج الفلاحي والخزفي وتأثرت بأحوالهما، وأمتهن التونسيون التجارة وركزوا على الداخلية منها، مستغلين الأرباح التي تأتي من الأسواق الداخلية التي تتم بين الحواضر التونسية[3]، فاختص بعض السكان الإيالة بالتّجارة مثل سكان صفاقس وجرّبت الذين تعاطوا البيع بالجملة والتفصيل وانتشرت كثير منهم بالبلاد مثل بنزرت، تونس، بلاد الجريد، وكانوا يقومون بجمع منتجاتها عن طريق الحمار والقوافل كالتمور من الجنوب والزيتون من الساحل والحبوب من الشمال ليقوموا ببيعها في مناطقهم أو إلى اليهود أو الأجانب لتصديرها[4]، كما ظهرت بتونس فئة امتازت بها وحدها عن كافة المنطقة المغاربية في العهد العثماني وهي طائفة كانت تقوم بأعمال تكميلية في مجال التجارة ونقل البضائع وعرفت تحت اسم الحمارة بحيث امتلكوا عدد من الدواب التي تكفي لنقل البضائع سواء من السوق إلى منطقة معينة أو العكس، وكانوا يتصفون بالأمانة، فيعهد لهم التجارة ببضائعهم التي يوصلونها حسب المطلوب منهم، وكان لكل جهة حماريها

[1] يحي بو عزيز، نفس المرجع السابق , ص 27

[2] محمد العربي الزبيري ، نفس المرجع السابق، ص 102.

[3] بنت معجب، ابن سعيد حامد، المرجع السابق، ص 167.

[4] بن جمعة بلقاسم، المرجع السابق، ص 86.

الخاصين بها لنقل السلع والبضائع[1] ولهم دراية حتى في كيفية حفظ تلك البضائع من التلف و الأضرار.[2]

ولتنشيط التجارة التونسية قام حمودة باشا باتباع سياسة تجارية داخلية نتج عنها انتعاش اقتصادي من مختلف الجوانب ومنها التجارة التي أقبل الناس عليها بسبب كثرة المنتجات وتوفير الأمن وقلة الحوائج مع سياسة تجارية تخدم التونسيون كمنع التجار الأجانب من شراء المحاصيل الفلاحية، من الفلاحين مباشرة، وحصره بين التجار التونسيون، وكان هذا بإجراء الهدف ما ورائه ضمان الرّبح للتجار المحليين على كل صفقة، وحماية الفلاح هذا بعد نهاية الحرب بين تونس والبندقية سنة 1787 م، ففوت مع التجار الأجانب ربحا كبيراً وعلى رأسهم اليهود، وتخطت الإجراءات حدود ذلك لمنع اليهود من ممارسة التجارة في بعض المواد مما جعل دخلهم في التجارة الداخلية كان محدودا سببا ، وبين رشاد الإمام على وجود وثيقة في خزينة الدولة التونسية وهي عبارة عن أمر صادر عن حمودة باشا في ديسمبر 1788م يتعلق بتحديد الصناعة التي يسمح لليهود الإتجار بما داخل البلاد[3].

ولكن هذا الوضع لم يتم المحافظة عليه ففي بداية القرن 19 م شهدت تونس نوع من التغيير الحاصل في ميزان القوى بين أروبا والبلاد التونسية التي كانت في تقهقر خلال سنة 1815[4]، وقد ارتبطت الحياة التجارية التونسية بالتغيرات الظرفية فالرّخاء النسبي كالذي عرفته تونس في أول عهد حسين بن علي على سنوات 1765-1775 م حتى 1800 م صاحبه كذلك انكماش في الموارد وتضاعف التوترات انطلاقا من النصف الأول من القرن 18م.[5]

---

[1] بن معجب، المرجع السابق، ص 167.

[2] بن جمعة بلقاسم، المرجع السابق، ص 81.

[3] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 278.

[4] الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1246هـ، 1754-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص95.

[5] الزهار، المرجع السابق، ص 94.

اهتم حمودة باشا بتنشيط التجارة الداخلية والخارجية وهذا كله من أجل ضمان ربح التّجار المحليين وشجع الصناعة التونسية بحيث تخلى عن الثياب المترفة المستوردة من الشرق واعتمد على الأقمشة المنسوجة في جرية، وعمل على زيادة موارد الحزينة وتشجيع مشروعات رعاياه والشروع في أعمال مرفأ تونس.[1]

عرفت فترة حمودة باشا انتعاشا في الحركة التجارية وتنشيط الصناعات الحرفية ولا سيما قطاع الشاشية وبذلك تكونت طبقة من التجار الكبار حول الباي وبالاعتماد على طبقة الأعيان المحليين ولا سيما فئة القياد اللازمة أمثال الجلولي وبن عياد: تمكن حمودة باشا من البروز كحاكم عصري منسجم مع اقتصاد.[2]

6- الصادرات :

شجع حمودة باشا ازياد التعامل التجاري بين تونس والجزائر بالرغم من المشاحنات بين البلدين، حيث أنه وبعد أن كانت تونس تستقبل بين الثماني والعشر قوافل تجارية سنويا من قسنطينة أصبحت منذ سنة 1809 م تستقبل ما يقارب ذلك العدد من القوافل شهريا لا سنويا [3] كما شجع صالح باي (1771م-1792) التجارة الخارجية حيث تحولت قسنطينة إلى ملتقى للقوافل التجارة الكبرى القادمة من العديد من المناطق ومنها تونس [4].

[1] رشاد الامام ،المرجع السابق، ص 315.

[2] أبو بكر عبد الكافي، تاريخ تونس، منشورات الثقافية العمالية للطباعة، تونس، 1966م، ص95.

[3] رشاد الإمام ، المراجع السابق ، ص319.

[4] يحي بوعزيز ، تاريخ قسنطينة ، دار عالم المعرفة الجزائر ،2007، ص65.

ومن صادرات قسنطينة نحو تونس نجد :

1-الجلود :كانت من المواد المصدرة نحو ، تونس ، حيث صدر قرار بايلك قسنطينة عام 1793م القاضي ببناء مدابغ في عنابة تلبية لحاجات الأهالي من جهة ، وتزويد تونس بحوالي 12 ألف جلد سنويا من جهة ثانية [1].

2-الشمع :اهتم سكان الشرق الجزائري بجنبي الشموع في فصل الربيع من كل سنة ، ويقومون بتصديرها إلى تونس إلى مدينة الفل تعد أكبر منتج لهذه المادة ومما يدل على تصديرها لتونس ، وذلك لكون استيرادها انخفض في فرنسا نظر الثورة عام 1789م وكانت تستعمل في الكنائس والأديرة فقد كانت أقرب الأسواق [2]

3-المواشي والأغنام :أصبحت بين عامي 1795-1796م أعداد وافرة من المواشي حتى بيعيها وبيعت بثمنيها الداي الجزائر [3]وذلك أن داي الجزائر بعث لبيع البقر في تونس مع تعين ثمنيه بأسلوب تعمد فيه الإمرة هذا ما أغاظ حمودة باشا .

*كما أن صاحب قسنطينة ببعث الأنعام لبيعها في تونس بثمن يحدده بنفسه [4] بالإضافة لبضائع أخرى مصدرة من الجزائر وتونس تمثلت في النمور الممتازة والقبعات المصنوعة من سعف النخيل كما كان نجار قسنطينة يعملون إليها ريش النعام والنبر[5] بالإضافة لقسنطينة ، فيحكم أنها تعد عاصمة الشرق الجزائري ، وأكبر مدته فهي تعتبر أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين حيث أن النجار ، ويجيلون إليها كثيرا من منتوجاتهم الضرورية لتغذية سكانها ويحملون منها صناعات أخرى تدر عليهم برابح أكثر[6].

---

[1]محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ص99.

[2]نفسه ، ص 99-100.

[3]عبد الحميد هنية ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال منشورات تبر الزمان ، ط5 ، تونس 2012 م ، ص194.

[4]أحمد بن أبي الضياف ، المصدر نفسه ، ص277.

[5]محمد العربي الزبيري التجارة الخارجية ، المرجع السابق ، ص152-153.

[6]أحمد بن أبي الضياف , المصدر نفسه , ص 278 .

تنوعت المواد المصدرة والواردة من وإلى تونس حيث أن القمح يمثل المادة الأساسية في صادرات تونس ومصدره منطقة باجة وسفوح جبال الرأس الأسود ثمنه غير مستقر حيث تتحكم فيه الوفرة أو الندرة أو الوضع الاقتصادي أو الإجتماعي للبلاد التي تعتبر منطقة سوسة أهم منتج له يشحن الزيت في أواني فخارية .

الشاشية :عرفت شهرة كبيرة في العالم الإسلامي ، وتعمد على مادة الصوف –الصوف تحتكر تجارته الطبقة الحاكمة .

*وللقيام بهذه العمليات التجارية إلى تعتبر أهم من النشاط الذي كان يتم عن طريق الموانئ هناك مراكز أساسية منها القوافل وتعود إليها وأهمها : قسنطينة حيث كانت هناك عديد طريق تنطلق من تونس إلى قسنطينة .

1–طريق تونس الذي يبدأ من قسنطينة : لمدة نستغرق 25 يوما وقد كانت قسنطينة نوجه شهريا قافلة إلى مدينة تونس تحمل إليها الصوف والجلود المديونة والنمور المجلوبة من الواحات والشواشي وتستورد منها المصنوعات الأوربية وبعض المنتوجات المحلية مثل التوابل والقهوة والأقمشة الحريرية [1].

*تنوعت الصادرات بمدينة قسنطينة من منتجات نباتية وعلى رأسها المرجان والحبوب وخاصة القمح والشعير والفول والزيت إلى المنتجات الحيوانية من صوف وجلود وغيرها من المواد [2] والمواشي كالأبقار (10) والأغنام والشمع والشحم (11).

ولقد نجار قسنطينة يتوجهون إلى تونس حيث يسعون النمور والصوف والجلود المدبوغة وريش النعام والتبغ ، ويجبلون منها الأقمشة المطرزة ، ونقدر هذه التجارة شهريا بحوالي خمسمائة ألف فرانك .

---

[1] MD ; Umar le shra Algérie pubile par le marichel Duc Dalmatie l'anglais et leclex bab Azoun 1845 Algerie p20.

[2] محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 152–153.

قسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها إلى البيع بتونس بلوح بالإشارة إليه فيتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى ما أتى قسنطينة والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تدعى رعاته أنه سرف منهم في أرض تونس ، فيزداد ثمنيه عن الثمن المطلوب [1].

أهلت قسنطينة لتكون ذات نصيب وافر وتقوم بنشاط كبير في هذا المجال مع ذلك فقد توصلت بين مدتين مناطق أخرى ، ولكن ليس بنفس الحجم الذي شغلته التي كانت تسيير قافلة بصفة شهرية نحو تونس مكونة ثلاثمائة (300) بغل الشيء الذي يدل على كثافة حجم التواصل الاقتصادي تجارة القوافل التي كانت أنشط من تجارة المواشي في حين تجارة القوافل من تونس تستعمل ستة ملاين [2].

وكانت القوافل تحمل لتونس الصادرات لأنية النمور و المنتوجات الصوفية ، من برانيس وجيب صوفية حيث كان لها سوف رائجا بتونس [3].

المطلب الثاني: الواردات

كانت النشاط التجاري الذي يربط تونس بمدينة قسنطينة (بايليك الشرق الجزائري) على درجة كبير هو الأخر من النشاط والفاعلية لذلك حظيت تجارتها برواح كبير في هذا إقليم الأمر الذي أدي إلى المناسبة [4].

سوق قسنطينة يعتبر أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين يأتي إليه النجار من كل نواحي معهم المنتوجات ليستورده مكانها صناعات أخرى قدر عليهم أرباحا أوفر .

ولعبت قسنطينة دور أساسها في تنشيط التبادل التجاري الذي تعزز أكثر في عهد صالح باي 1771-1793 م الذي عمد إلى تشجيع النشاط التجاري بجنا به الداخلي والخارجي [5].

---

[1] بلخوص ، المرجع السابق ، ص24.

[2] أحمد بن أبي الضياف أنحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس ، المصدر السابق ، ص40

[3] الزبيري ، المرجع السابق ، ص152-153.

[4] -أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص 41.

[5] -محمد العربي الزبيري ،ا المرجع السابق ، ص 153-154

أهم الأسواق	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	الصوف–الجلود المدبوغة –النمور المتمايزة –الشواشي –ريش النعام	العطور –التوابل –القهوة –والاقمشة القطنية والحريرية

المبادلات التجارية بين مدينة قسنطينة والأسواق التونسية [1]

[1]– نفسه ، ص 153–154.

خاتمة

خاتمة :

و نأمل من خلال هذا العمل المتواضع أننا غطينا جانبا من الحياة الاقتصادية لمدينتي قسنطينة وتونس في القرنين 18و 19 م ونأمل كذلك أننا أجبنا على تساؤلاتنا التي تم طرحها في الإشكالية ،و ما توصلنا إليه من استنتاجات لا تعد احكام نهائية بالمقارنة في إبراز الجانب الإقتصادي حتى تكون منطلقا للدراسات الأكاديمية و علمية و جامعية أخرى لذا وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من النتائج و الاستنتاجات خلصنا بها في جوانب عدة تمثلت فيما يلي :

حرفيا : مارسوا مختلف الأنشطة الحرفية بين مدينتي قسنطينة وتونس سواء في الريف أو الحاضرة ولكن اختلفت في جودتها من حيث الإتقان والدقة والجودة كما أن سكان الأرياف استهانوا ببعض الحرف قصد تلبية متطلباتهم اليومية ، فإن سكان الحواضر يعتبرون الحرفة أساسية بحيث يسترزق منها ويحسن أوضاعه المادية بها.

أ-الجانب التجاري : التي كانت بفئات منها عدد كبير من الحرفين كما يدفع الضرائب المتوجبة عليه.

سيطرة النقابات الحرفية و المهنية إن صح التعبير على الحرف من خلال الأمناء الذين تعددوا و اختلفوا حسب الحرف و المهن المنتشرة داخل الحواضر وعملهم في المحافظة على الاصول الموروثة للحرف .

المحافظة على النشاط الإقتصادي كان أساسه يتوزع على محورين هما السكان الحضر و امتيازاتهم و مكاسبهم على أنها ذات طابع إداري و مهني و محور الريف الفلاحون و الرعاة .

و لقد كانت هناك علاقات تجارية بين المدينتين من خلال القوافل التجارية والمتمثلة في السلع والبضائع التي كانت تصدر وتستورد منها: الشمع الأنعام المواشي...الخ .

الملاحق

الملحق رقم 01: قطّارة من النحاس الاحمر من مدينة قسنطينة.[1]

محفوظة بالمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية – الجزائر 1.

[1] شريفة طيان، زخارف النحاسيات الجزائرية خلال العهد العثماني، دار المنظومة، ص80.

الملحق رقم 02: سوق المنسوجات بتونس.[1]

[1] عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص 57.

الملحق رقم 03: أهم الطرق الرابطة بين قسنطينة وتونس.[1]

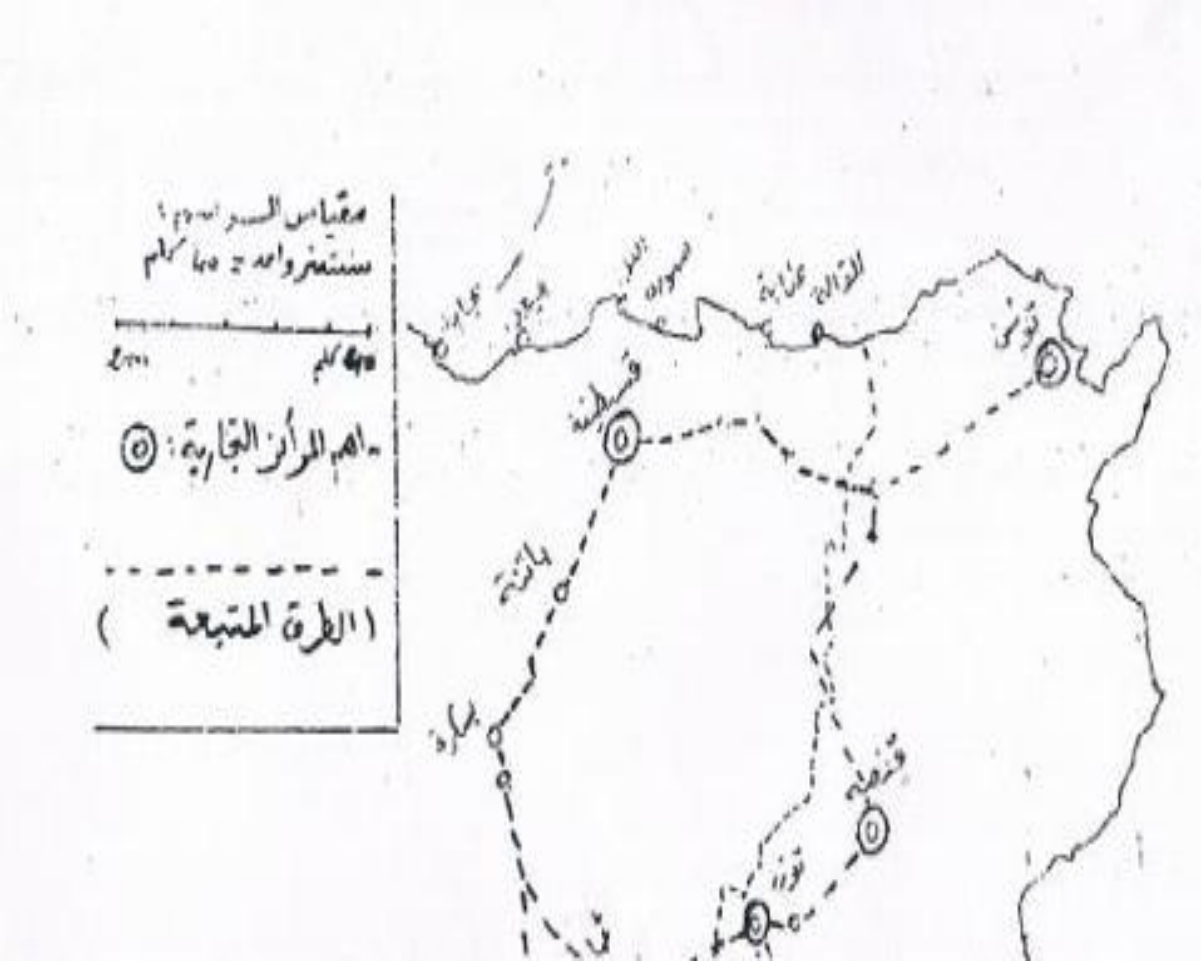

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص160.

الملحق رقم 04: أهم عمليات التصدير والتوريد التي كانت تتم بين قسنطينة وتونس.[1]

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف ، الجلود المدبوغة ، التمور الممتازة ، الشواشي العادية ، ريش النعام	المصنوعات الأوربية ، التوابل ، العطور ، القهوة ، الأقمشة ، القطنية والحريرية .

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ص159.

الببليوغرافيا

المصادر العربية:

1. باسيونال أندري ، الرحلة إلى تونس 1724 ،ترجمة وتحقيق محمد العربي السنوسي مركز النشر الجامعي ، تونس 2004 .
2. ببرم الخامس، محمد صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، ج2 ، ط1 ، المطبعة الإعلامية ،مصر ، 1302هـ.
3. بن أبي الضياف أحمد إنحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج1 ، النشرة الثانية دار التونسية للنشر ،د س ، تونس 1976 .
4. بن عثمان حمدان خوجة ، المرأة تعريب وتقديم محمد العربي الزبيري ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982.
5. بن ميمون الجزائري محمد التحفة المرضية في الدولة البكدشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ،ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1972.
6. الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830 م تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1974.
7. العنتري ، الصالح فريدة مسنية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز عالم المعرفة لنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين 2009م .
8. فالنسي لويست ، المغرب العربي ، ضيل سقوط مدينة الجزائر إلياس مرفض دار الحقيقة ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1980.
9. الورثلاني ، الحسن بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ ،لأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية ، مطبعة بين فونتانا الشرقية ، الجزائر ، 1908.

10. مذكرات أحمد باي، حمدان خوجة، بوضربة، تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، الجزائر.

11. الزمولي الصادق، أعلام تونسيون، تع حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1986م.

المراجع :

1. أبو العبيد دودو في مؤلفات الرحالين الألمان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،ط1 ، الجزائر ،1989.

2. التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا ، ترجمة محمود على عمر ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 .

3. الإمام رشاد حمودة باشا في تونس 1782-1814 منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1980.

4. اندريه ريمون، المدن العربية في العصر العثماني، تر لطيف فرج، القاهرة، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1991م.

5. بلغيث محمد الامين، الشيخ محمد بن عمر العدواني، مؤرخ سوف والطريقة الشابية، ط2، الجزائر، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، 2007.

6. بن جمعة بلقاسم إبراهيم ،الإقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من 1861 إلى 1864 ، الشركة العامة للطباعة، تونس، 2002 .

7. بنت معجب بن سعيد الحامد ، نورة ، الصلات الحضارية بين تونس و الحجاز دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية 1326،1256 هـ ،1840-1980 دار السلك عبد العزيز، الرياض ،2005.

8. بوعزيز يحي، موقف بايات تونس من ثورة الامير عبد القادر، ع 23، مطبعة البحث ، قسنطينة- الجزائر.

9. التميمي عبد الجليل وآخرون، بحوث ووثائق في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، بيت الحكمة تونس، د ت ن.

10. الثعالبي عبد العزيز ، تونس الشهيدة ، تعريب حمادى الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1984.

11. الجوهر محمد حسن، تونس، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1921م.

12. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2-ج3، بيروت، دار الثقافة، 1980م.

13. سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1986.

14. سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر وبليه قانون الأسواق لأسواق مدينة الجزائر البصائر والتوزيع ، الجزائر .

15. سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، العهد العثماني الجزائر الوطنية للنشر والتوزيع ، 1985 .

16. سعيدوني ناصر الدين، ولايات المغرب العثمانية ، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

17. السنوسي محمد بن عثمان ت 1318هـ 1900م، مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج1، تح و تع محمد الشاذلي النيقر، دار بوسلامة، تونس، 1983م

18. الشاظر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ، ج3، مكتبة الجامعة، تونس، 2005.

19. شاكر محمود ، التاريخ الاسلامي في العهد العثماني، ج3، ط2، المكتب الاسلامي، بيروت، 2000.

20. الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس في العصور ما قبل التاريخ، الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد محايلية، ط3، دار السوس للنشر والتوزيع، تونس، 1993م.

21. عبد المنعم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ،ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006.

22. العروق محمد الهادي ، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيا العمران ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1984.

23. عميراوي حميدة ، علاقات بايلك الشرق الجزائري ، بتونس في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ، الجزائر ، دار الهدى للطبع ، 2005.

24. قشي فاطمة الزهراء ، قسنطينة في عهد صالح باي ، البيايات ميديا بلوس قسنطينة 2005.

25. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، الجزائر، البليدة، دار الكتاب، 1963م.

26. مصطفى أبو الضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.

27. الهادي التجومي ، تاريخ تونس لاجتماعي 1881 –1956 ، ط2 ، نشر محمد على الحامي ، تونس ،2001.

المراجع باللغة الأجنبية

Achour Belkacem Arahmouni Al Hadad 1802 in R.A.V6 A1919

Agom Behcem Aromoumi Alhadad 1802 im R-A-V-A1999

Charles Féraud , Annales tripolitaines libraire, , paris, 1927.

cherif M H , Pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn Ben Ali (1705-1740). Tunis, Publications de l'Université de Tunis (2 tomes). 1984

chez les Féraud « mottes sur voyage en Tunisie et en tripolitaine » Im R- A20 N°119- 120 SEPTEMBER, 1876

Daniel danzace, les corsaires barbaresques, la fin d'une épopée (1800-1820)- ED- méditerranée, France, 1999

E. Pélissier, Description de la régence de Tunis 2eme Edition bouslane, Tunis , 1980 .

Emest mercier, Histoire de Constantine, Constantine imprimeurs 51 1903

Epoussettes histoire des derniers beys de Constantine, in R.A -2 V3 .a1862

Henry dument, notion sur la régence de Tunis société tunisien de diffusion, Tunisie, 1975

L'abbé porte, voyage en barbarie ou lettes de l'ancienne pendent les années 1785 et 1786, sur la religion, parle 1789

Marcel, dissipation de cette régences par le Dr l'ouïs Frank, Ed bouslama, Tunis, Say-date,

MD umar le shra Algérie publie par le marichel DUC Dalmatie l'anglais et le leclex bab Azoun 1845 Algérie .

Poiret, Jean-Louis-Marie , Voyage en Barbarie, ou Lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785 et 1786, sur la religion, les coutumes & les murs des Maures et des Arabes-Bédouins; avec un essai sur l'histoire naturelle de ce pays

Renandot, talleau de Rouyane l'Algerie et jes enirons paris imprimerie

V. Guérin, voyage archéologique dans la régence de Tunis, t1, Henri Plon, imprimerie- éditeur, Paris, 1862

VENTURE DE PARADIS –J-M-TUNIS ET ALGER AU XVIII EME Siècle –LA BID ARABE- SIMDBAD- PARIS – 1983

المجلات :

1. ابن خوجة ، محمد مرور ،**مائة عام من تأسيس حفلة مولودية رسمية بتونس** عن المحلة زيتونية م1 ، د ج 3 ، مطبعة تونسية 1936.

الرسائل الجامعية :

1. حسام صورية ،**العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، تخصص الحديث والمعاصر، ،كلية العلوم الإنسانية الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ ، علم الأثار، جامعة وهران 2012–2013
2. رشاد الإمام، **سياسية حمودة باشا في تونس 1782–1814** ، رسالة دكتوراه في الفلسفة ، الجامعة الأمريكية .
3. كوثر العايب ، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711–1830** ، رسالة ماجستير في الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، الجزائر ، 2013 –2014

4. المرزوقي فتحي ،**المؤسسات الدينية والخيرية بمدينة تونس**، في القرن 18 ومقوماتها الاقتصادية وظيفتاها الاجتماعية عن تحية والتقدير شارل روبير جيرون ج 2 منشورات تميمي للبحث و المعلومات ، زغوان 1996.

5. معاشي جميلة ،**الإنكشارية والمجتمع ببيالك الشرق في نهاية العهد العثماني** ، رسالة دكتوراه ، قسنطينة ، 2007-2008 .

6. يوسفي صرهودة، **المعاملات والمبادلات الاقتصادية في قسنطينة في اواخر العهد العثماني**، مذكرة ماجيستير، قسنطينة 2005.

7. Isabelle Grangaud , La ville imprenable. Histoire sociale de Constantine au 18eme siècle école des hautes études en science thèse doctorat, paris, 1998

المجلات:

1. بوضرساية بوعزة، **الحاج أحمد الحاج أحمد باي**، مجلة الثقافة ، العدد 112 ، 1996.

2. قاسم أحمد ،**أوضاع إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم**، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 33-34، 1984 .

فهرس

المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الشكر	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
المقدمة	3-1
الفصل الأول: مميزات العلاقات الديبلوماسية الثقافية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18- 19م	
1. الواقع السياسي في قسنطينة.	06
2. الواقع السياسي في تونس.	08
3. الواقع العسكري في قسنطينة.	10
4. الواقع العسكري في تونس.	12
5. الواقع الاجتماعي في قسنطينة.	14
6. الواقع الاجتماعي في تونس.	16
7. الواقع الثقافي في قسنطينة.	19
8. الواقع الثقافي في تونس.	21
الفصل الثاني: الخصائص الاقتصادية بين مدينتي قسنطينة وتونس في القرن 18-19 م.	
1. مميزات الفلاحة في قسنطينة.	25
2.مميزات الفلاحة في تونس.	26
3. مميزات الحرف في قسنطينة.	34
4. مميزات الحرف في تونس.	36
5. مميزات وخصائص الرعي في قسنطينة.	45
6. مميزات وخصائص الرعي في تونس.	46
7. مميزات وخصائص التجارة في قسنطينة.	48

8. مميزات وخصائص التجارة في تونس.	50
9. الصادرات.	54
10. الواردات.	57
خاتمة	59
الملاحق	61
قائمة المصادر والمراجع	66
فهرس المحتويات	79